فهذا جفا ديناً ليملكَ منصباً   وذاك لغاياتٍ أَحطُّ وألأما
ومنهم كَنُودٌ رام كيدَ رئيسهِ   ولا ذنبَ في ذا غير ان كان مُنعِما . .
ومنهم كطفلٍ لا تجاريهِ أُمهُ   ليلعبَ في نارٍ بكى وتظلّما . . .

بني الشرق هُبّوا من رُقادٍ وغفلةٍ   فنترعَ أضغاناً ونُقصي تقسّما
لئن نتّحد يا قوم قلباً وقالباً   يذلُّ لنا صعبٌ فنرجو تقدُّما
فهل يُرتَجى هَديٌ بنور كواكبٍ   اذا كان أُفق الوَفق فينا مُغيّما ؟
هَلمّوا نُغذِّ الطفل دَرَّ معارفٍ   ودينٍ وإقدام ونيل فنغنما
فخيرُ الورى من كان بالعلم نيّرًا   وللّه منقادًا وفي الحرب ضيغما

جهينة الماسون والمدارس اللادينية

حديث جرى بين جُهَينَة احد وجهاء المسلمين (البك) واحد ادباء المسيحيين (الزائر)

ذهب « الزائر » المسيحي ليقوم بالواجبات الوداديّة في معرض عيد الفطر من شهر رمضان المنصرم نحو صديقهِ « البك » المومأ اليه (وسنسمّيه جهينة الماسون مراعاة للظروف) وبعد ان تجاذبا ملياً اطراف الحديث دار الكلام على الماسونيّة فكان ما يأتي :

البك هل انتظمتَ في مصافّ المحافل الماسونيّة ؟

الزائر كلّا. ولن اريد الانخراط في سلك شيعة تسعى وراء هدم النظامَين الديني والمدني

البك حسناً تصنع لأن ما من صاحب ضمير دخلها وسبر غورَها ألا انسحب منها نادماً على ما فعل مغتاظاً مما سمعهُ ورآه فيها

الزائر وسعادتكم هل كنتم من عدد اعضائها ؟

البك نعم. واخجلُ من قولي « نعم » . ولكنني لم البث ان تركتُها ومنذ ثماني عشرة سنة لم ادخل محفلاً

الزائر وما الذي حمل سعادتكم على الانفصال عنها ؟

البك كنت قد دخلت الماسونية ظنّاً مني انها جمعية خيرية ادبية انسانية كما موّهوا وكذبوا عليّ . غير اني رأيتُ عكس القضية اذ وجدتني بين قوم اكثرهم ليسوا

من مقامي وليسوا على شيء من الادب والفضيلة فقضيتُ على نفسي بالانسحاب منها لئــلّا اقع في شرّ الاقذار اذ يُعرف المرء من قرينه

الزائر عجبٌ. واين ما يقولون مظهرين للناس كافة انَّ غاياتهم الحريّة والاخاء والمساواة وعمل الخير وتنوير الافكار والتعاون والتعاضد وخدمة الانسانية و . . . . و . . . . و . . . ؟

البك لا تنخدع يا صاح باقوالهم المخالفة لاعمالهم فقد جاء في القرآن الشريف: « يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم » . وما مَثَلهم الّا كمَثَل الطبل الذي يعلو دَرداَبهُ (صوتهُ) الامكنة المجاورة وداخلهُ اجوف صافر . او كمَثَل الفريسيين المرائين الذين ذكرهم في الانجيل سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام فقال عنهم انهم كالقبور المكلّسة . وقد يصحّ فيهم قول العامّة : اقرأ تفرح جرّب تحزن » . هذا واني قد اختبرتهم بنفسي ولا سبيل لانكار ما رأتهُ عيناي وسمعتهُ اذناي

الزائر واين ما يجمعون من الاموال للتعاضد والتعاون ؟

البك يتعاونون في كل ما من شأنهِ ان يحقق مقاصدهم السافلة . فاذا جمعوا الاموال فلغاياتهم الشخصية ومشاريعهم الخصوصية فقط . فالحريّة التي ينادون بها هي حريّة لنفسهم . وعلى غيرهم استعباد واستبداد . والاخاء الذي يجاهرون به خاصٌ بهم ولغيرهم حقدٌ وضغينة . والمساواة التي يقصدونها يرومون بها مساواة الناس تحت نير ماسونيّتهم . يجمعون الاموال لتنفيذ مآربهم الذاتية وقهر اخصامهم . واكثر الذين عرفتهم مشهورون بهضم حقوق الناس واختلاس اموالهم . ومنهم رجلٌ عرفتهُ جيّداً وهو رجل اذا مرَّ بالقرب منك يقتضي بعد مروره ان تعدَّ اصابع يديك لترى ان لم يسرق منك احداها . . . . .

الزائر ماذا تعلمون عن المحفل العثماني الذي أُلّف حديثاً في قرن الشبّاك ؟

البك غاية ما اعلمهُ هو ان احد زعماء الماسونية في الاستانة هو الذي بعث بسكاكيني بك الى تأليف هذا المحفل

الزائر هل كان الامير عبد القادر الجزائري ماسونياً كما يقول الماسون وكما جاء اخيراً في الجريدة الماسونية الحرة بقلم صاحبها تقولا سابا ؟

البك لم يدخل الاميرُ الماسونية الّا ليطّلع على اسرارها فقط ولكن لمّا انجلت له الحقيقة تخلّف عن الحضور الى محافلهم ولم يأتِ شيئاً يدل على ماسونيتهِ فعلًا

الزائر هل كل من مبعوثَيْ بيروت ماسوني ؟

البك انني اعلم علماً لا ريب فيهِ ان رضا بك الصلح ليس ماسونياً ولن يكون ابداً. امّا المبعوث الآخر فلا اعلم عنهُ شيئاً وان دخل في الشيعة لا يلبث ان ينفصل عنها لعلمي انهُ رجل خبير عالم حكيم عاقل كما فعل الشيخ محمد عبده والامير عبد القادر وكثيرون غيرهما وداعيكم. وانني اعلم ان بعض الذين دخلوها يرومون التخلص منها وهم يترقّبون الفرص الموافقة للانسحاب

الزائر هل منعتم احداً من الانضمام اليها ؟

البك كان يودّ نقيب الاشراف في مدينة (ط...) الانضمام الى اعضائها لو لم احذّرهُ وخيم العاقبة وسوء المصير فعدل عن قصده بعد ان كادت تزلّ بهِ القدم. وقد الحّ عليهِ بعضهم بالدخول فأبى وهو الى الآن لم يزل واضعاً نصيحتي لهُ نصب عينيهِ

الزائر ما رأي سعادتكم في المدارس اللادينية ؟

البك هي احدى نتائج الاعمال الماسونيّة ولا رأي لي فيها سوى ما قلتهُ لكم عن الماسونيّة. فالغاية واحدة والوسائط عديدة. وكل رب عائلة يبعث باولاده الى تلك المدارس يُلام اشدّ اللوم. فاما ان يكون ساذجاً جاهلًا غاياتها الخبيثة مغروراً بظواهرها الخدّاعة. واما ان يكون عالماً بما هي عليهِ من الرذيلة والكفر فيرضى بفساد آداب واخلاق ولدهِ ويسلمهُ اليها ليقتل نفسهُ بسمّ تعاليمها الذُّعاف

وخلاصة القول ان الحريّة والاخاء والمساواة والنور والعلم والتعاون ومحبة الانسانية وكل ما يدّعونه زوراً وظلماً وكذباً موجود كلّهُ في قرآننا وفي انجيلكم فهم يريدون ان يحاربونا بسلاحنا ويعلّمونا من كتبنا وعنها وبها وفيها. ولا ارى من حاجة لترك الدين كي أتبع ما هو منافٍ له. هذا وانَّ شريعة الدين لهي شريعةٌ اساسُها الله امّا شريعتهم فاساسها الشرُّ والكفر. وقد قال السيد جمال الدين الأفغاني: «الدين اساسُ العمران والكفرانُ فساد المدنيّة». فلِمَ نترك شريعة الله وننتمي الى شريعة سافلة فاسدة. واذكرْ ما قلتُهُ لك في مبتدأ حديثنا وهو ان الماسونية كلها تُعرّف على وجه الاختصار بهاتين الكلمتين: «اقرأ تفرح جرِّب تحزن»

رسالة

في الفرق بين الروح والنفس

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

بين الكتب المخطوطة التي اطّلعنا عليها في اواسط ايلول سنة ١٩٠٩ في المكتبة الخالديّة في القدس الشريف فتلطف اصحابها باجازة نسخ ما شئنا منها كتابٌ نُظم في برنامجها في باب المجاميع العلميّة يحتوي عدّة رسائل فلسفيّة طُبع البعض منها بهمّة الشيخ العلّامة طاهر افندي الجزائري . وممّا لم يُطبع رسالة لارسطاطاليس في النفس قد تلف قسمٌ كبير منها فذهبت بذلك فائدتها . وهناك رسالة اخرى نفيسة لم تطبع ايضاً عنوانها «رسالة في الفرق بين النفس والروح» يقال في اوّلها « الفها حنين بن اسحاق العبادي لمحمّد بن موسى المنجم » قال : « وقد اختلفوا فيها فقوم قالوا انها لحنين وقوم قالوا الفها قسطا بن لوقا لعيسى ابن افرخنشاه » فاستنسخناها لننشرها كتتمّة لما سبق نشره من هذه المقالات الفلسفيّة القديمة . والحق يقال انها اثر نفيس يدلّ على ما كان لصاحبها من سعة المعرفة بحكمة اليونان كارسطو وافلاطون وطبّهم كبقراط وجالينوس فجمع في اوراق قليلة عدّة معلومات متفرّقة في كتبهم . والمؤلّف قد اراد بالروح ما كان يفهمه اليونان باسم πνεῦμα والروم باسم spiritus في معناها الاصليّ اعني بمعنى النسمة الماديّة التي في الانسان ليس بمعنى الجوهر المجرّد عن الجسد كما يُستدلّ من اصل اشتقاقهما من فعلي πνέω و spiro بمعنى قول العرب راحت الريح اذا هبّت ونفخت . وكان قدماء الحكماء يقسمون الروح بهذا المعنى الماديّ الى قسمين يدعون قسماً الروح الحيوي (esprit vital) ويجعلون موقعهُ في القلب وقسماً الروح النفساني (esprit animal) يجعلون مركزه في الدماغ . وهذا الرأي القديم مبنيّ على ظواهر الحياة الّا انّ القدماء الذين كتبوا في ذلك وعنهم اخذ صاحب هذه الرسالة قد بالغوا بعض المبالغة بحيث يظهر من قولهم انّ الروح التي وصفوا قواها النباتيّة والحسيّة هي مبدأ مستقلّ عن النفس وليس الامر كذلك . فانّ اصول الفلسفة الصادقة فضلًا عن تعليم الكنيسة تقرّر في امر النفس انّها المبدأ الوحيد لاعمال الانسان سواء كانت نباتيّة او حسيّة او عقليّة وانّما مظاهر النفس تختلف على حسب عملها في نموّ الجسد وغذائهِ او في القسم المشترك فتخصّ الروح بتلك الاعمال

اما النفس فقد اخذها المؤلّف بمعناها الفلسفيّ اعني الجوهر البسيط الروحي الخالد البقاء المخلوق من الله ليتّحد بجسم هيوليّ وان امكنهُ ان يحيا دونهُ فلخّص في القسم الثاني من مقالتهِ آراء القدماء بكل دقّة فجاءت مقالتهُ من اجود الآثار الفلسفيّة واستحقّت بذلك أن

تُنشَر لئلا تُفقَد فائدتها ولاسيما انّ منها نسخةً وحيدةً فقط تُحفَظ في خزانة مخطوطات غوتا من اعمال المانية (Pertsch : Arab. Handschr. zu Gotha. n° 1158) . اما نسخة القدس الشريف فقديمة يرتقي تاريخها بالتقريب الى القرن الرابع عشر وهي مشرقة الخطّ مكتوبة على ورق صقيل نسخها لنا عن الاصل جناب محمّد ابن الدنف الانصاري فنشكر فضله

بقي علينا تعريف واضع هذه الرسالة فان كاتب هذه النسخة بعد ان ذكر انّ مؤلفها هو حنين بن اسحاق العبادي روى ما جاء من الخلاف بين العلماء في صاحبها أهو حنين بن اسحاق او قسطا بن لوقا . وعندنا انّ مصنّف هذه الرسالة ليس بحنين وانما هو ابن لوقا ودونك الاسباب التي تحملنا على نسبتها الى ابن لوقا :

السبب الاوّل انّا راجعنا كلّ جداول تآليف حنين بن اسحاق المدوّنة في كتاب الفهرست لابن النديم (ص ٢٩٤) وفي تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي (ص ١٧١ – ١٧٢) وفي طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة (١ : ١٨٤ – ٢٠٠) مع ما ذكر منها في كشف الظنون للحاج خليفة وما بقي منها في خزائن الكتب الشرقيّة في اوربة فلم نجد ذكرًا لهذه الرسالة

والثاني انّا على خلاف ذلك وجدنا في التآليف السابقة ذكرًا لهذه الرسالة في جملة تآليف قسطا بن لوقا . فقد ذكرها ابو الفرج الورّاق المعروف بابن النديم في الفهرست (ص ٢٩٥) وسمّاها كتاب الفصل بين النفس والروح ومثله جمال الدين القفطي في ترجمة قسطا بن لوقا (ص ٢٦٣) ودعاها كما في نسخة المكتبة الخالديّة « كتاب الفرق بين النفس والروح » وتبعهُ ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (١ : ٢٤٥) . امّا النسخة الخطيّة المصونة في مكتبة غوتا (Pertsch, n° 1158. p 369) فان الرسالة تُدعى فيها كما في فهرست ابن النديم « الفصل بين النفس والروح » ولا يُذكر فيها اسم مؤلفها وقد نسبها صاحب القائمة الى ابن سينا تخمينًا وحدسًا . والصواب كما روينا

والثالث انّ لغة هذه الرسالة تدلّ على انها لقسطا بن لوقا وليست لحنين لأنّ عربيتها افصح وابلغ ممّا نعرفهُ من تآليف حنين بن اسحاق الباقية الى زماننا . امّا قسطا بن لوقا فكان مشهورًا بجودة انشائهِ كما اشار اليهِ اصحاب ترجمتهِ

والرابع انّ هذه الرسالة عرفها النَقَلة الى اللاتينيّة (١ منذ القرن الثاني عشر للمسيح فترجمها المروف بحنّا الاسباني ونسبها الى قسطا بن لوقا (٢ (Johannes Hispalensis) فطبعت هذه الترجمة مرّة اولى سنة ١٥٣٦ في مدينة بال (Bâle) ثمّ أُعيد طبعها في مجموع فلاسفة

---

١) اطلب تاريخ المنقولات العربية الى اللاتينيّة F. Wüstenfeld : Die Übersetzungen Arabischer Werke in das Lateinische seit dem xi Jahrhundret. (p . 53)

٢) وقد دعاه المترجم « قسطنطين الافريقاني » اطلب قائمة المطبوعات العربيّة في المتحف البريطاني (ج ١ : ٨٠٥) Ellis (A.G.) : Catalogus of Arabic Books in the British Museum.

القرون الوسطى (١ الذي نُشر سنة ١٨٧٨ بعناية باراك (Barach) امّا الاصل العربي فلم يُنشر

وهنا لا بُدَّ ان نضيف الى قولنا كلمة في مؤلّف الرسالة فنقول هو قسطا بن لوقا البعلبكي احد مشاهير علماء الدولة العباسيّة. قال صاحب الفهرست (ص٢٩٥) بعد ذكره لحنين: «كان يجب ان يقدَّم على حنين لفضلهِ ونبلهِ وتقدُّمهِ في صناعة الطب ولكنْ بعض الاخوان سأل ان يقدِّم حنين عليهِ وكلا الرجلين فاضل . . . وكان بارعاً في علوم كثيرة منها الطبُّ والفلسفة والهندسة والاعداد والموسيقى لا مطعن عليهِ فصيحاً باللغة اليونانيَّة. جيد العبارة بالعربيَّة». ونقل ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٤٤) عن سليمان بن حسّان ان قسطا «مسيحيّ النحلة طبيب حاذق نبيل فيلسوف منجم عالم بالهندسة والحساب» ثمَّ زاد عليهِ: «وكان جيّد النقل فصيحاً باللسان اليوناني والسرياني والعربي واصلح نقولًا كثيرة واصلهُ يوناني. ومما روي من اخباره انهُ كان في ايام المقتدر قال ابن القفطي في تاريخ الحكماء: «دخل ايام بني عبّاس الى بلاد الروم وحصل من تصانيفهم الكثير وعاد الى الشام واستُدعي الى العراق ليترجم كتباً و يستخرجها من لسان اليونان الى لسان العرب وعاصر يعقوب بن اسحاق الكندي. وقد نقل صاحب الفهرست وابن ابي اصيبعة عن عبدالله بن جبرئيل بن بختيشوع انَّ قسطا اجتذبهُ سنحاريب الى ارمينية فاقام بها وكان بارمينية ابو الغطريف البطريق من اهل العلم والفضل فعمل لهُ قسطا كتباً كثيرة جليلة نافعة شريفة المعاني مختصرة الالفاظ في اصناف من العلوم ومات هناك فدُفن وبُني على قبره قبّة وأُكرم قبرهُ كإكرام قبور الملوك ورؤساء الشرائع». (قال): «فلو قلتُ حقًّا قلتُ انهُ افضل مَن صنَّف كتاباً بما احتوى عليهِ من العلوم والفضائل وما رُزق من اختصار الالفاظ وجمع المعاني». ثم ذكروا لهُ جدول تآليفهِ البالغ خمسين كتاباً بيِّف فُقد اكثرها. وممَّا يؤسف على فقدهِ خصوصاً كتاب تاريخ كان دعاهُ الفردوس وكتاب نوادر اليونانيين ومذاهبهم وكتاب آداب الفلاسفة وكتاب الاوزان والمكاييل وكتاب المرايا المحرقة وكتاب القرسطون. وقد نجا من آفات الدهر كتابهُ اختلاف الناس في اخلاقهم وسيرهم وكتاب في العمل بالكُرة وكتاب الاسطرلاب وبعض نقول لكتب اليونان ككتاب اقليدس وكتاب الأُكر لثاودسيوس وكتاب اطولوقس في الطلوع والغروب. ولم يُطبع لقسطا بن لوقا الأثري قليل فمن ذلك كتاب رفع الاثقال لأيرُن ترجمهُ من اليونانية وطبعهُ آخرًا العلّامة كارا دي فو Carra de Vaux : Les Mécaniques de Héron d'Alexandrie وقد طبع في مصر كتاب الفلاحة اليونانيّة لقسطوس الفيلسوف الرومي فظنَّ الطابع انَّ قسطوس المذكور هو قسطا بن لوقا ولو حقَّق النظر لرأى ان قسطوس هذا ليس بقسطا بن لوقا وانما هو احد قدما اليونان وقد ترجم كتابهُ سرجيوس بن هليا

وممَّا لقسطا بن لوقا من الآثار المذكورة في جدول تآليفهِ ومخطوطة في مكتبتنا الشرقية جوابهُ الى ابن عيسى يحيي ابن المنجم وكان هذا وجَّه اليهِ والى حنين بن اسحاق رسالة دعاها بالبرهان

١) وهــذا عنوانها Costa-ben-Lucæ de differentia animæ et spiritus liber ex arabico in latinum translatus a Johanne Hispalensi .

ليثبت فيها دين الاسلام فاجابهُ قسطا برسالة مثلها والرسالتان بين مخطوطات مكتبتنا وكذلك لدينا جواب حنين على صورتين الواحدة على طريقة جدلية والاخرى على مبنىً فلسفي يثبت فيهِ النصرانية فهذه الصورة الثانية قد نشرناها في مجموع الابحاث الذي طُبع ليوبيل العلّامة نلدكه (١ وقد عدنا فكرّرنا طبعها في مجموعنا « مقالات لاهوتية قديمة (ص١٢١) »

هذه الرسالة

في الفرق بين النفس والروح

ألّفها حنين بن اسحاق العبادي لمحمّد بن موسى المنجّم

وقد اختلفوا فيها فقوم قالوا انها لحنين وقوم قالوا ألّفها قسطا بن لوقا لعيسى بن افرخانشاه (٢

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

سالتَ اعزّك الله عن الفرق بين الروح والنفس وما قالت الاوائل فيهِ وقد رسمتُ في ذلك جُملًا استخرجتُها من كتاب افلاطن المسمّى فادن (٣ ومن كتابه المسمّى طيماوس (٤ ومن كتاب ارسطوطاليس وثاوفرسطس في النفس ومن كتاب جالينوس في اتفاق آراء بقراط وافلاطن ومن كتابه في عمل التشريح وفي منافع الأعضاء واستعملتُ

---

١) اطلب Orientalische Studien Theodor Noeldeke zum siebzigsten Geburtstag gewidmet, p. 282-291

٢) ويقال عادةً فرّخان شاه. كان هذا متولّيًا على ديوان الخراج ايام المتوكّل وخلفائهِ ذكرهُ الطبري في تاريخهِ غير مرّة ولم يذكر سنة وفاتهِ

٣) هو كتابهُ المدعو باليونانية Φαίδων باسم احد تلامذة افلاطون

٤) وباليونانية Τίμαιος علم لبعض تلامذتهِ

فيها غاية الاختصار والايجاز لِما شاهدتُ من كثرة أشغالك باعمال السُّلطان وضيق الزمان الذي لا يُمكنك فيه النَّظر في هذه الكتب وأرجو أن يكون فيما رسمتُ من ذلك مع معرفتك بالعلم الطبيعي وبراعتك فيه بلوغُ مطلوبك ان شاء الله تعالى

فأقول ان الذي يريد ان يعلم الفصل بين شيئين محتاج الى ان يعلم ماهيَّة كل واحد منهما اوَّلا لأنه غير مُمكن ان يفصل بين شيئين مجهولين ومع معرفة كل واحد منهما يعرف الفَصْل بينهما · واذ نريد ان نبيّن الفصل بين النفس والروح يجب اوّلا ان نخبر عن النفس والروح ثمَّ عن الفصل بينهما. فلنبدأ أوّلا بالقول في الروح اذ كان أسهل منهجاً ثم نتبعهُ بالقول في النفس

القول في معرفة الروح الحيواني

اعلم انَّ الروح جسمٌ لطيف(١ ينبثُّ في بدن الانسان من القلب في الشرايين فيفعل الحياة والنَّفس والنَبض وينبثُّ من الدماغ في الأعصاب فيفعل الحسَّ والحركة. وقد زعم المحمودون ممَّن عمل التشريح في الأحياء من الاطباء والفلاسفة انَّ في القلب تجويفَين احدُهما في جانبهِ الأيمن والآخر في جانبهِ الأيسر وهذان التجويفان فيهما دَمٌ وروحٌ بل في التجويف الأيمن من الدم أكثر ممَّا فيه من الروح وفي التجويف الأيسر من الروح اكثر ممَّا فيه من الدم· وينبعث من التجويف الذي في الجانب الأيسر عرقان يصيرُ أحدهما الى الرئة فيكون به تنفُّس القلب وذلك ان القلب ينقبض وينبسط وبانقباضهِ وانبساطهِ يكون النَّبض في سائر البَدَن ولذلك صار النبض دالًا على حركات القلب الذاتيَّة المستوية والمختلفة بسبب ضرر ينال القلب في نفسهِ او من بعض الاعضاء المُجاورة له · فالقلب اذا انبسط اجتذبَ بذلك العرقُ من الرئة شيئاً من الهواء الذي يصير اليها بالتنفّس لترويح الحرارة الغريزية التي فيه وتكون مادّتهُ الروح الذي في تجويفاتهِ واذا انقبض القلب دفع بذلك العِرقُ الى الرئة ما تولَّدَ فيه من البخارات الدخانيَّة عن الحرارة النارية التي فيه واخرجتها الرئة عن البدن· وهذا العرق هو المعروف بالشريان الوريديّ وسُمّي بهذا الاسم لأن هيئتهُ هيئة وَريد وفعلَهُ فعلُ شريان· والعرق الآخر تسميهِ العرب الأبهَر وينقسم عند منتهاهُ من القلب قسمين احدهما يترقّى في اعالي البدن

١) راجع مقدّمتنا حيث بيّنّا ما هو الرأي الصحيح في ذلك

فيتفرّع منه فروع من الصدر الى أعالي الرأس يكون بها الحياة في هذا الجزء من بدن الانسان والاخر ينحدر الى اقاصي القدمين ويتفرّع منه فروعٌ يكون بها الحياة في الجزء المستقبل من بدن الانسان. وفروع جزءي هــذا العرق المتفرقة في سائر البدن تسمى شريانات وهي العلّة القريبة لحياة البدن الانساني بما يؤدي الى كل عضو من اعضائه من الروح الذي في تجويف القلب الذي في جانبه الأيسر . والدليل على ان حياة الانسان بهذا الروح ما نرى من خروجه في وقت الموت وحركة اللحى والفم والصــدر لذلك والتّنفس الذي يكون شبيهاً بالفواق والتّنفس العالي وتسميه العامة النّزع وخروجه من البدن يكون بالسُّبل التي يصير منها اليه الهواء. وذلك انه يخرج من تجويفي القلب الى الرئة في العروق التي ذكرنا انها تنفــذ من القلب الى الرئة فيجذب الهواء ويُخرج البخارات الدخانية ثم من الرئة يكون خروجهُ في القصبة وينفــذ من الفم . وخروجه من الفم يكون عند حركة الفم التي ينفتح فيها ولا ينطبق من ذاتــه ثم يحتاج الى ان يُشَدّ لبطلان الحيوة بعد خروج ذلك الروح منه. فامّا العلل التي يخرج لها هذا الروح من البدن اعني علل الموت وعلل سرعة خروجه وابطائه أعني سهولة النزوع وصعوبتهُ وعلى ظهوره في بعض الناس وخفائه في بعضهم وعلل الموت فجأة فانها خارجة عن غرضنا وتحتاج الى اوائل ومقدمات كثيرة من التركيب الطبي يطول شرحها فلذلك تركنا ذكرها. فقد ظهر بما قلنا ان الحياة تكون بالروح الذي في تجويفي القلب وان النبض والنفس لصلاح هذا الروح اعني لترويحه الهواء الوارد عليه من خارج ولإخراج البخارات الدخانية عنه فقد ظهر أنّ الروح الذي في تجويفات القلب هو علّة الحياة والتنفّس والنّبض. وهذا ما يُحتاج الى معرفته في الروح الحيواني الذي ينبوعه القلب

القول في الروح النفساني

امّا الروح الذي ينبوعهُ الدماغ ونفوذه الى سائر البدن في الاعصاب فانــه يسمّى الروح النفساني وما دونهُ من الروح الحيواني الذي يكون في تجويف القلب. وذلك ان احد قسمي الشّريان المعروف بالأبهر المنبعث من القلب الى اعالي البدن اذا انتهت اقسام عظم الرأس ونفذت به اجتمعت وتركت بعضها على بعض وتشبّكت وانتسج منها نسيج

في هيئة الشبكة وانبسطت تحت الدماغ وتنفذ شرياناتها المنبسطة شيءٌ الى باطن الدماغ يؤدي اليه روحاً من الروح الحيوانية الذي في تجويفَي القلب

وذلك ان الدماغ قسمان مقدّمهُ وهو مُعظمه والآخر مؤخرُهُ. وفي مقدّمهِ تجويفان يفضيان الى فضاء مشترك في وسط الدماغ وفي مؤخره تجويف واحد منه يجري الى الفضاء المشترك للتجويفين اللذين في مقدّمهِ فالشريانات المنبثة من الشبكة التي تحت الدماغ الى باطنهِ تنتهي اوّلاً الى أحد التجويفين اللذين في مقدّمهِ فيودي اليه الروح الحيواني و ينفذ منه الى التجويف الآخر فيلطف فيهِ ويرقّ ويتهذّب ويتهيأ لقبول القوة النفسانية ويكون ذلك له شبيهاً بالهضم والاحالة الى روح ارقّ والطف واصفى

ثمّ ينفذ من التجويف الى الفضاء المشترك لها في وسط الدماغ ثمّ من ذلك الفضاء المشترك الى التجويف الذي هو في مؤخر الدماغ في مجرى من الفضاء المشترك في وسط الدماغ الى مؤخره (كذا). وفي هذا المجرى قطعة من جرم الدماغ شبيهة بالدودة يرتفع في المجرى و ينهبط فيه وبارتفاعها ينفتح الثقب الذي بين الفضاء المشترك للتجويفين وبين المجرى وبانهباطها تسدّهُ فاذا فتحهُ نفذ الروحُ من مقدّم الدماغ الى مؤخرهِ وذلك ليس يكون الّا عند الحاجة اليه عند تذكّر ما نُسي وعند الفكر فيما قد كان. فان لم ينفتح هذا المجرى ولم ينفذ الى مؤخر الدماغ لم يذكر الانسان ولم يحضره جوابات ما يُسأل عنه . وانفتاح هذا المجرى الذي يكون بارتفاع الجسم الشبيه بالدودة مختلف في الناس في السرعة والابطاء. فمنهم من يكون ذلك فيه بسرعة فيكون ذكياً سريع الذكر سريع الجواب ومنهم من يكون ذلك فيه بابطاء فيكون بطيء الذكر بطيء الجواب كثير الفكر. ولذلك يعرض لمن يذكر شيئاً ان ينصب رأسهُ انتصاباً شديداً بل يُميله الى ما وراء و يشخص بعينهِ الى فوق ليكون هذا من وضعه وهيئته مُعيناً على انفتاح المجرى وارتفاع ذلك الدودي الى فوق

فأمّا الفهم والفكر والرأي و الروِيّة والتمييز فانهُ يكون بالروح الذي يكون في التجويف المشترك اللذين في مقدم الدماغ فاذا كان الانسان مفكراً او مروياً احتاج الى ان يكون المجرى الذي من الفضاء المشترك للتجويفين اللذين في مقدم الرأس الى التجويف الذي في آخره مسدّداً ليلبثَ الروح في ذلك الفضاء المشترك فيكون اقوى للفكر والوهم والروِيّة والتمييز ولذلك ترى من يفكر يميل برأسه الى الارض ويكثر النظر

اليها وكانه يكتب كتاباً او يرسم اشكالاً ليكون ذلك معيناً على انطباق الجسم الشبيه بالدودة على ثقب المجرى الذي ينفذ منه الروح الى موخر الرأس

والروح الذي في هذا الفضاء اعني التجويف الاوسط يختلف في الناس فنهم من يكون هذا الروح فيه رقيقاً لطيفاً صافياً فيكون عاقلاً مفكّراً سائساً مدبّراً مميّزاً ومنهم من يكون الروح فيه على خلاف ذلك فيكون طيّاشاً او سخيفاً او أحمق او أبله

وينبعث من جزء الدماغ المقدم سبعة ازواج عصباً فيها روح من التجويفين المقدمين

الاول منها يتصل بالعينين فيكون به البصر وهو دون باقي العصب أُجوف وذلك لحاجة البصر الى ان يكون الروح المنبعث اليه كثيراً مجتمعاً متكاثفاً صافياً لا يخالط جرم غيره

والثاني يتّصل بعضل الفكّين فيحرّكهما

والثالث يتّصل باللسان فيكون به حسّ الذوق

والرابع يتصل بالحنك

والخامس يتصل بالصماخين فيكون به حسّ السمع

والسادس ينحدر الى الاحشاء فيتبلها الحسّ ويرجع شيء منه بعد الى الحنجرة فيحركها لانضمام فوهتها

والسابع يتصل باللسان فتكون به حركته وكل ذلك تفعله هذه الاعصاب بالروح التي تنبعث فيها من الدماغ الى هذه الاعضاء

والدليل على ذلك انه متى عرض عارض فسدّ مجرى الروح الذي في عصبة من هذه الاعصاب ومنعه من ان يصل الى العضو فانه يُعطل فعل ذلك العضو كالماء المجتمع في العين فانـه يحول بين الروح الذي في العصبة وبين الناظر فيفعل العمى وكالابخرة والاخلاط التي تسدّ وتحول بينه وبين الصماخين وبين آلة الشم او آلة الذوق فيفعل الصّمم او بطلان الذائقة واللمس والشمّ. فاذا انفتحت تلك المجاري امّا بعلاج او بمقاومة الطبيعة للعلّة عاد العضو الى فعله فصار صحيحاً مستوياً وينبعث من جزء الدماغ المؤخّر وهو جزء من الدماغ فينحدر من القفا كلها وعظم القطاة والعُصعص ويتفرق منه ازواج كثيرة من العصب فيما بين كل فقارتين زوج يفضي الى العضل فيكون به حركة اليدين والرجلين وسائر البدن

والدليل على ذلك انه متى ما نال هذه الاعصابَ ضربٌ من قَطع او فَسخ او انسدَّت المجاري التي فيها بطلت حركة ذلك العضو الذي كانت تنبعث اليه او ضعفت من الآفة فقد تُرى يدُ المفلوج صحيحةً لا علّة بها في ظاهرها وهو عند وجود هذه الآفة في اليد لا يمكنهُ يحسّ بها شيئاً ولا يحسّ بها ولا يحركها . وكذلك يُرى ايضاً فيمن بهِ السّكتة فتكون اعضاؤُه صحيحةً مستويةً وهو لا يحركها ولا يحسّ بها شيئاً . فاذا عولجت هذه العلل بما يفتح مجاري الدماغ وضُمّدت فقارات الصُّلب وتُحقى ارباب (اسباب) هذه العلل بالادوية الجاذبة من الدماغ المنقية للمجاري التي في الاعصاب والفتحة لتلك السدد رجع الى الاعصاب الحسّ والحركة ان لم تكن العلّة قد جاوزت مقدار العلاج وتكون (وتكن) الاعضاء قد ضعفت عن احتمال الأدوية

وربما عرض للروح التي في التجويفات كلها او بعضها آفة من سوء مزاج او مخالطة ابخرة رديئة فتفسد لذلك وتبطل افعال تلك الاعضاء وذلك ان الضرر والتغيُّر ان نال الروح الذي في التجويفَين المقدّمين كان من ذلك فساد الحواس . كالذي ينال من يدخل الحمّام ويُطيل المكث فيه فيُظلم بصرهُ ولا يرى شيئاً وكالذي يهيج به ايضاً مراراً فيُبخّر الى رأسه فيتصل ذلك البخار بالروح الذي في مقدم دماغهِ فيُظلم بصرهُ ولا يُبصر شيئاً . وكذلك يعرض في السمع وفي سائر الحواس فان حلّت الآفة بالجزء الاوسط كان باقي اجزاء الدماغ سليماً فسد الفكر والتمييز فقط وبقي الحسّ والحركة مستويين كالذي يعرض في العلة التي تسمّى ماليخوليا وهي اختلاط العقل وكالوسواس وفساد التمييز . فان حلّت الآفة في اثنين من هذه التجويفات او ثلاثة واشتملت على الدماغ كلّه كانت الآفة في التمييز والحسّ والحركة كالذي يعرض في الصَّرع والسكتة وما اشبه ذلك من العلل

فقد صحّ مما قلناه ان الروح في تجويفات الدماغ وانهُ يفعل افعالاً مختلفة اما الذي في التجويفين المقدّمين فيفعل الحسّ السمعيّ والبصري والذوقي والشمّي وبعض اللمس ويفعل ذلك التخيُّل وهو الذي تسمّيه اليونانيون فنطاسيا . وان الروح الذي في التجويف الأوسط يفعل الفكر والتمييز والرويّة . وان الروح الذي في التجويف (الذي في موخّر الدماغ) يفعل الذكر والحركة

فقد حصل لنا مما بيّناه ان الروح في بدن الانسان روحان احدهما يقال لهُ

الحيواني ومادّته الهواء ويُنبوعه القلب وينبعث في الشّريانات الى سائر البدن الانساني فيفعل الحياة والنبض والتنفّس . والآخر يقال له النفساني ومادّته الروح الحيواني ويُنبوعه الدماغ ويفعل في الدماغ نفسه الفكر والذكر والرويّة وينبعث منه الاعصاب الى سائر البدن فيفعل الحسّ والحركة

القول في النفس

اما النفسُ فانّ وصفها على حقيقتها صعبٌ مُعتاص جدًا والدليل على ذلك اختلاف اجلّاء الفلاسفة وهم أفلاطن وارسطوطاليس وخروسفس فيها وكذلك مَن بعدهم . الّا اننا نذكر الحدَّين اللذين حدَّهما بهما افلاطن وارسطو ونشرحهما ونُحتجّ في تبيين ذلك من كل لفظةٍ فيهما ويتبع ذلك الإخبار عن قوى النفس فان ذلك ممّا يكتفى بهِ في هذا الموضع ويمكن ان نبيّن به غرضنا الذي هو الفصل بين الروح والنفس

القول في حدّ النفس لافلاطن

قال افلاطن : حدّ النفس جوهرٌ بسيط ليس بجسم محرّكٌ للبدن (١ . واما ارسطو فانّه حد النفس بان قال : النفس كمالٌ اول لجسم طبيعي آليّ (٢ . وفي حدٍ آخر غير الاول قال : حدّ النفس انها حيّ بالقوة (٣ . ولنشرح هذين الحدين ولنبتدئ بالحد الاول الذي قاله افلاطن ولنبيّن ان النفس جوهر فنقول :

ان كلّ قابل للمتضادّات هو واحد بالعدد والواحد بالعدد لا يختلف ذاتهُ وهو جوهر والنفس قابلة للفضائل والرذائل وهي واحدة بالعدد كنفس افلاطن لا تختلف ذاتها والفضائل والرذائل متضادّان فالنفس اذا قابلة المتضادّات وهي واحدة بالعدد لا تختلف ذاتها فهي اذًا جوهر

ونقول ايضًا انّ محرّكَ الجوهر جوهرٌ والنفس محرّكة للجسد والجسد جوهر فالنفس جوهر

---

١) تحديد افلاطون للنفس ورد متفرّقًا في كتابَي فادن وتيماوس السابق ذكرها

٢) ورد هذا التحديد لارسطو في كتابهِ عن النفس (ك ٢ ف ١) : Ψυχή ἐστιν ἐντελέχεια ἡ πρώτη τοῦ σώματος φυσικοῦ δυνάμει ζωὴν ἔχοντος

٣) هذا التحديد الثاني هو بنسبة النفس الى الجسد والى حياتها في المركّب

ونقول ايضاً ان النفس جزء من الحيوان لأن كلّ حيوان نفسٌ (١ وجسد والحيوان جوهر وجزء الجوهر جوهر فالنفس اذاً جوهر . فاذ قد تبين بالبراهين الصحيحة الواضحة ان النفس جوهر فلنبين اذاً ان النفس لا جسم

فنقول ان لكل جسم كيفياتٍ محسوسةً وما لم تكن كيفياتهُ محسوسةً فهو لا جسم وكيفيَّاتُ النفس الفضائل والرذائل . والفضائل والرذائل غير محسوسة فالنفس اذاً لا جسم

وايضاً فكل جسم لا يخلو من ان يقع تحت بعض الحواس او كلها والنفس لا تقع تحت الحواس لا كلّها ولا بعضها فالنفس اذاً لا جسمٌ

وايضاً فان كل جسم امَّا ان يكون متنفساً او غير متنفس فان كانت النفس جسماً فهي امـا متنفسة او غير متنفسة ولا يمكن ان تكون النفس غير متنفسة ان كانت جسماً لانهُ يقع محال وذلك ان النفس تكون لا نفس . فان قلنا انها حيوان اي متنفسة يرجع القول علينا في نفس النفس أجسمٌ هي ام لا جسم ويترقى القول الى ما لا نهايةَ لهُ فاذاً ليست النفس جسماً

وايضاً فان كانت النفس جسماً لطيفاً فليس يخلو ذلك الجسم من ان يكون اما روحاً خارجاً لطيفاً ينتشر في البدن كلهِ واماً ناراً . فان كانت كذلك فـلا يخلو ذلك الروح والنار من ان يكون لهما نوعٌ خاص وقوة خاصّة او لا يكون وذلك ان لم يكن لهما نوع خاصّ وقوة خاصّة فكل نار وكلّ روح نفسٌ فان كان لهما نوع خاصّي فذلك النوع هو النفس

وايضاً ان كانت النفس جسماً فلا يخلو جسمها من ان يكون بسيطاً او مركّباً فان كانت جسماً بسيطاً فهي لا تخلو ان تكون ناراً او هواء او ماء او ارضاً (٢ وان

---

١) في هذا القول نظر فان العلماء يفرقون بين نفس الحيوان الاعجم وبين نفس الانسان فانَّ نفس الحيوان جوهر يقوم بالمادَّة ويفنى بانحلال الجسم امَّا نفس الانسان فانَّها جوهر قائم بذاتهِ لا تفنى بفناء المادَّة اذ لها اعمال خارجة عن المـادة تأتيها حتى بعد انحلال الجسد اي النطق والادراك

٢) هذا على قول القدماء بان الاستقصَّات اربعة . وامَّا اليوم فقد ثبت ان الاركان والاجسام البسيطة متعدّدة

كانت النفس احد هذه الاركان مجرّدًا اعني بلا قوّة ولا نوع خاصي يفارق فيه ما يشاركهُ في جنسهِ فان كلُ ما هو من جنسهِ نفسٌ . وان كانت النفس نارًا كان كل نار نفساً وان كانت هواء كان كل هواء نفساً وكذلك باقي الاركان . فان كان ذلك كذلك فكلّ جسم يحوي ذلك الاستقصّ فهو متنفّس اعني انهُ ذو نفس فان كان الهواء هو النفس كانت الرئة والعُروق الضّوارب والزّوق المنفوخ حيوانًا . وان كانت النفس ماء كان الاناء المملوّ ماء حيوانًا وهذا من القول قبيح شنيع جدًا . وان كانت النفس ارضاً كانت النفس جسماً مركّبًا فالنفس اذًا لا جسم

واذ قد تبيّن ان النفس جوهر غير جسم فلنبين على ايّ الجهات تُحرّك البدن

القول في تحريك النفس للبدن على ايّ جهة هو

فنقول ان كل متحرّك اما ان يتحرّك بحركة محرّكٍ كالعجلة التي تتحرّك بحركة البقر واما ان يتحرّك من غير ان يحرّكهُ محرّك وذلك على اربع جهات : اما يتحرّك بالشوق الى محرّكهِ كما يتحرّك العاشق من المشوق . واما بالبغض والمخافة كما يتحرّك العدوّ من عدوّهِ . واماً ان تتحرك بالفعل الطبيعي كما يتحرّك الحجر من الثقل والثقل من نفسهِ غير متحرّك . واما ان يحرّكهُ سبب بادٍ بحركتهِ كما ان الصناعة علّة حركة الصانع . فلننظر بايها من جهات الحركة التي وصفنا تُحرّك النفسُ البدنَ اليها

فنقول ان النفس تحرّك البدن بالجهة الرابعة من النوع الثاني من التحريكات وهي انها تحرّك البدن وهي غير متحرّكة وتحرّكهُ بانها سببٌ بادٍ لحركتهِ اذ كان الانسان يفعل بها ويختار بها فالنجار يحرك بانهُ يفعل والنفس تحرّك بانها تفعل وكما ان الصناعة علّة حركة الصانع وليس يتحرّك بحركتهِ فالنفس المحرّكة اذًا علّة لحركة الحيوان بالشهوة والفعل والنقلة وهي لا تتحرّك بضرب من ضروب حركات الاجسام لانها غير جسم

واذ قد شرحنا حدّ افلاطن الذي حدّ به النفس وبيّنا معنى كل لفظة فيه فلنأخذ الآن في شرح حدّ ارسطوطاليس للنفس وقوله فيها

القول فيما حدّهُ ارسطوطاليس للنفس

فنقول ان ارسطوطاليس حدُ النفس بان قال انها كمالٌ . وذلك لانّ من الاشياء

ما هو بالقوة ومنها ما هو بالفعل واذا كان الشيء بالفعل نمت بالكمال وكماله قبول النوع فمن هذه الجهات صارت النفس كمالا لأن المني حي بالقوة فاذا صار حياً بالفعل قيل انه قد كمل وكماله قبول نوعه اعني يكون ذا نفس حساساً متحركاً بالارادة. فقد وجب بما قلنا ان النفس نوع للحي لا محالة اذ كانت كمال الحي وكمال الشيء هو قبوله لنوعه. واذ قد صح ان النفس نوع وسمّينا النوع كمالاً وجب علينا ان نلخص جهات الكمال على كم نوع يقال ومن اي جهة منها يضاف الى النفس

فنقول ان الكمال يقال على ضربين فمنه اول ومنه ثانٍ: فالكمال الاول في الانسان هو العلوم والصنائع. والكمال الثاني في الانسان معالجة ما يعلم من العلوم والصنائع. ومثال ذلك ان المتطبب يُنسب الى الكمال الاول لعلمه بالطب فاذا عالج بما يعلم يُنسب الى الكمال الثاني. فللنفس كمال اول لان النائم وان كان لا حس له في وقت نومه فله النفس الحاسة المتحركة بالارادة نوع وكمال فهو نوع وكمال للشيء فالنفس نوع وكمال للجسم

والاجسام ضربان: فمنها ما نوعهُ فيه طبيعي كالحيوان والنبات والنار والهواء والماء وكماله حركة دائمة في نفسه. ومنها ما يكتسب له نوعٌ بالصناعة كالباب والسرير. فالنفس نوع لجسم طبيعي لان الجسم ليس من افعال الصناعة. وقد يخالف النوعُ الطبيعي النوعَ الكائن بالصناعة لان النوع الطبيعي جوهر والنوع الصناعي عرَض فالنفس جوهر لانها نوعٌ لجسم طبيعي

والجسم الطبيعي على ضربين فمنهُ بسيط ومنهُ مركّب فالبسيط بمثل النار والماء والهواء[١] والمركّب مثل الحيوان والنبات وليس النفس نوعاً لجسم بسيط بل لمركب وذلك لان كل ما له نفس فهو حي مستحيل ولا بد له من غذاء يخلف مكان ما يتحلّل منهُ ويُعين على نشوه. والغذاء يحتاج الى ضروب من الآلات منها ما يحتاج اليه لورود الجسم المغذّى وتجزئته وتنفيذه كالفم والمريء والعروق في الحيوان والاوراق والقضبان في النبات ومنها ما حاجةُ الغذاء اليه ليحويهُ ويُحيلهُ الى ملاءمته كالمعدة للحيوان وكالشحم الذي في تجويف ساق النبات للنبات. ومنها ما حاجة الغذاء اليه لدفع فضوله

١) هذا على رأي القدماء في الاسطقسات الاربعة

كالما للحيوان ومخارج الصمغ للنبات

وقد تكثر الآلة في الحي لكثرة تكامله وكثرة افعاله لانه اذا كان حياً كانت له اعضاء الحياة وهي القلب والدماغ وما يتصل بهما واذا كان حساساً كان له عصب وحواس. واذا كان متحركاً بارادة كان له عضلٌ وعصب. واذا كان هذا هكذا فتمم ما قيل ان النفس كمال اول لجسم طبيعي آليّ. وهذا خاصٌ جامعٌ يعمّ كل نفس في جسم مستحيل. واما تغير لفظ الحدّ الاول وقصيده فكان ذلك حياً بالقوة فان المنى في الحدين جميعاً واحد وذلك انه لم يُعنِ بقوله ذا حياة بالقوة ألا كونه جسماً طبيعياً آليّاً فمعنى آليّ وذي حياة بالقوة واحدٌ. فهذا حدّ ارسطوطاليس الذي حدّ به النفس مع شرحه الذي شرحناه وايضاحنا كل لفظ فيه

القول في قوى النفس

واذ قد شرحنا حدّي الفاضلين افلاطن وارسطو وبيّنّا معنى كل لفظة في كل واحد منها فلنُخبر الان عن قوى النفس فنقول: ان قوى النفس الاولى التي هي كالاجناس لما في القوى وهي ثلاث اولها النامية والثانية الحسّاسة والثالثة الناطقة وقد تسمى هذه الثلاث القوى تقوساً بالاستعارة فيقال النفس المُنمية والنفس الحسّاسة والنفس الناطقة وقد تُسمّى النامية طبيعيةً ونباتيةً. والنفس الحساسة بهيميةً ومُحركة بارادة. والنفس الناطقة عاقلة ومميزة ومفكرة فالنفس مشتركة للنبات والبهائم والانسان والنفس الحساسة مشتركة للبهائم والانسان والنفس الناطقة خاصة بالانسان

وافعال النفس المُنمية التوليدُ والتربية والغذاء. وذلك يكون بالاربع القوى التي تُسمّى طبيعية وهي الجاذبة والماسكة والمُحيلة والمنفذة. وهذه القوى موجودة في كل متغذٍ أعني في النبات والبهائم والانسان. وافعال النفس الحيوانيّة البصر والسّمع والشمّ والذوق واللمس والتخيُّل وحركة الانتقال بارادة. وهذه الافعال موجودة في كل حي اعني ذي حسّ في البهائم والانسان. وافعال النفس الناطقة الفكر والرويّة والظنّ والشكّ والعزم والعلم والذكر وهذه الافعال خاصّة بالانسان دون الحيوان

القول في الفصل بين الروح والنفس

واذا قد شرحنا ماهية الروح والنفس فلنخبر الآن عن الفصل بينهما وذلك ان الروح جسم والنفس غير جسم. وان الروح يُحوى في البدن وان النفس لا يحويها البدن. وان الروح اذا فارق البدن بطلَ والنفس تبطل افعالها من البدن ولا تبطل هي في ذاتها. وان النفس تحرّك البدن وتنيله الحسّ والروحُ يفعل ذلك بغير الحس وانّ النفس تنيل البدنَ والحياة بتوسط الروح والروح يفعل ذلك بغير توسط. وان النفس تحرّك البدن وتنيله الحس والحياة بانها اول علّة ذلك البدن وفاعلة فيه والروح يفعل ذلك وهو علّة ثانية فالروح اذًا علّة قريبة لحياة البدن وحسه وحركته وباقي افعاله البعيدة

وذلك ان بدن الانسان لمّا كان مركّبًا من اجزاء صلبة وهي العظام والغضاريف والاعصاب والعروق وما اشبه ذلك ومن اعضاء رطبة وهي الاخلاط اعني الدم والبلغم والمرّتين ومن الروح اعني الذي في تجويفات القلب والدماغ والشريانات وكان الروح أرقّ هذه الاجزاء والطفها وأصفاها كان أشدّ قبولًا لافعال النفس من سائر اجزاء البدن وعلى قدر رقّته ولطفه وصفائه قَبِلَ من فعل النفس. ولذلك قالت الفلاسفة ان قوى النفس تابعة لمزاج البدن لان الانسان اذا كان مزاج بدنه في غاية الاستواء كانت افعال النفس في غاية الاستواء. ومن قَصُر مزاج بدنه اعني الاعضاء التي فيها الروح عن الاعتدال المخصوص بها قَصُر ايضًا الروح عمّا يجب له من الرقّة واللطف وقصرت افعال النفس فيه بتلك النسبة ولذلك صارت قوى النفس في الصبيان ناقصة وفي النساء ضعيفة

وكذلك في الامم التي قد غلبت على امزجتها الحرارة والبرودة كالزنج والصقالبة ومن اشبههم. وكذلك اختلفت افعال النفس فصار في الروح الذي في القلب افعال الحياة والنَفَس والنبض فقط اذ ذلك الروح اقربُ الارواح الى الهواء واقلّها لطفًا ورقّة وصفاء. ثم الذي في التجويفات التي في مقدّم الدماغ صار فيه الحس والتخيّل لِمَا ناله من زيادة الرقة واللطف على ما في الروح الذي في القلب. ثم الروح الذي في التجويف الذي بعدهُ صار فيه الفكر والرويّة بفضل ما نالهُ من اللطف والرقّة على الروح الذي في مقدم الدماغ. ثم الروح الذي في مؤخره صار فيه الذكر والحفظ

لما يحتاج في ذلك من فضل الرقّة واللطف ايضاً اذا كان يريد ان يذكر شيئاً قد مضى وبَعُد عهدُهُ

وهذا كافٍ لما سألت عنهُ كفاك الله المهمّ ودفع عنك كل مكروهٍ واسعدك في الحياة والممات بجوده وكرمهِ انهُ هو الجَواد

ليلة الدماء

رواية معرَّبة بتصرُّف بقلم حضرة الخوري مارون غصن استاذ العربيَّة في كليتنا

كان لخمَّار حانةٌ منفردة في ضواحي بعض مدن ايطالية. فاتفق ذات يوم ان لم يَغشَها احد فجلس الخمَّار وابناؤه يخضخضون الزجاجات في أقصى الحانة. فأقبل بقَّار عند الأصيل ودخل فلم يرَ احداً فصاح: أما في الدار مِنْ ديَّار؟. فهتف الخمَّار من داخل وقد عرف القادم: اهلاً بيعقوب. واقبل يُرحِّب بهِ ويؤهل كعادة الخمَّارين إلى أن قال: لا رَيْبَ ان قد احتدم عليك الحرّ في هذا النهار الوَمِد. فاجاب البقَّار: لو كان الوَمَدُ وحده لهان الخطب ولكنَّهُ حرٌّ وغبار فقد ابتلعتُ منهُ ما لو فُرِش في ارض هذه الحانة لكان لها بساطاً. فقال الخمَّار مازحاً: آه لو انَّ لنا شذور ذهبٍ عِدادَ ما ابتلعتَ من الذرّات اما قولك؟.. ألستَ على رأيي؟... فما تشاء ان تشرب على ذكر ذلك؟ أخمراً ام عرقاً؟

فاجاب المسافر عليَّ بكأس عرقٍ ينظِّف حُلقومي

واذ كان الخمَّار يسكب جلس يعقوب على كرسي واسند عصاه الى فخذه واخرج من جيبهِ منديلاً وجعل يمسح العرق عن وجههِ. ثمَّ كشف عن ساعديهِ وهو يتأفَّف قائلاً: بعداً الغبار وسحقاً بل أفّاً للمدن وطُرُقها فلَقريَتي بوحشتها وصخورها أحبُّ إليَّ من المدن بضوضائها وغبارها.. ثمَّ أبرقت أسرَّتهُ فقال: «لكنَّ السوق كانت رائجة. بارك الله في المدن ففيها السعي والعمل». ثم ضرب جيبهُ وهتف. اربعة آلاف فرنك في جيب يعقوب!.. اربع ورقات كل واحدة منها بالف.. فلقد رافقني التوفيق في ما بعت من البقر فربحتُ في كل زوج ٢٠٠ فرنك. فلو كانت

سائر الأيام كهذا اليوم لأستغنيت عن السعي والعمل وعشتُ في غبطة وهناء.

فهتف الخمَّار منبهتاً: إذن... معك !..

— لربع ورقات كل واحدة منها بألف فرنك.

فمدَّ الخمَّار صوتهُ قائلاً: بأأ.....ف ؟

— نعم بألف فرنك

— او لست تخشى عدوًّا ومعك ما معك ؟

فاجاب يعقوب ضاحكاً: أمثلي يخشى !... كأنك لا ترى هذه العصا... خُذ وزْنها... فضلاً عن انَّ في هذا الصدر ايماناً. هاك... انظر

ثم كشف عن صدره فبانت مَشْرَبةً كأنها غابة وجذب خيطاً قد سوَّده العرق... فبدت ايقونتان علاهما الصدأ فلثمهما باحترام وقال: ترى هاتين الايقونتين؟.. احداهما تمثل القديس مباركاً شفيع المسافرين والثانية القديس انطون محامي المساكين. فحسبي بهما درعاً في وجه كل معاند اذا امتطيتُ غارب الليل وجبت القفار في رفقة الذئاب والضباع اذ اني واثق أن لا يمسَّني أذى ولا ينالني مكروه

فقهقه الخمَّار قائلاً: أيصدَّق انَّ مثلك ذكياً يكسب ٢٠٠ فرنك في بيع زوج بقر يعتقد مثل هذه الخزعبلات!

فشقَّ هذا الكلام على يعقوب فاجاب ممتعضاً: ذلك هو معتقدي ولك معتقدك

فهزَّ الخمَّار رأسهُ وقال: اما انا فلا دين لي ولا معتقد...

فاجاب يعقوب: انت معتقدٌ ان لا معتقد لك فانت اذن معتقد شيئاً... ثم مسد شاربيه وتعبَّ الشراب وهتف: حبذا شراب يزيل الهم ويبعث الهمم. فلقد نهكني التعب والحرّ وكاد يخنقني الغبار

اما الخمَّار وقد كان يشتاق العود الى ما همَّهُ فقال: أو تحسب يا صاح انَّ هاتين النحاستين اللتين تدعوهما ايقونتين...

فقاطعهُ يعقوب مغضباً وقال: اذا بدا لك يا صاح أن تمزح فلا بأس ولكن حذارِ حذار أن تسخر من الدين فلست أطيق على ذلك صبراً

فغضَّ الخمَّار من صوتهِ وكظم غيظهُ وغيَّر الحديث وقال: لك ما تشاء.. فهل لك الآن ان تشرب كأساً ثانية ؟

— لا بأس فانّ طلبك لا يُردّ. ثم عاد الى ذكر ما قاساه من حرّ النهار وغباره..

وبعد ربع ساعة كانت الشمس قد توارت في الافق وارخى الليلُ سدوله ولم يكن يُسمع في تلك الفيفاء الّا وطء اقدام يعقوب راجعاً الى قريته ولا أنيس له في ذلك القفر الموحش الّا ظلّه. ولم يكن الّا قليل حتى هبّت الريح فعبثت بثوب يعقوب الضافي فصار يلوّح كانهُ طائر مدّ جناحيه في الفضاء

امّا الخمّار فخطر له بعد ذهاب يعقوب خاطرٌ جهنّمي فصفّر لابنيهِ فاسرعا وهما ينشفان ايديهما باطراف متزريهما فقال لهما: أرأيتما ذلك الأفّاق الذي ههنا " فأشرأبت اعناق الولدين الى والدهما فاردف: " إنّ مع هذا الفرّ ٤٠٠٠ فرنك!.. وهو اعزل لا سلاح له وانّما يعتقد انهُ معزّز ببعض الايقونات. فدونكما معاجيل الطريق واسبقاه الى رأس الغابة السوداء.. وترصّداه مليًا حتى إذا بلغ اليكما فتكتما بهِ... وبعد ساعة تكون الاربعة الآلاف فرنك لنا.. أفهمتما؟ "

فتقدم الكبير وقال: ليس ذلك بالمطلب الصعب. وأيّد الصغير زعم اخيهِ قائلًا: بل هو اسهل من السهل. ثم ذهبا يُعدّان ما يحتاجان إليهِ فعمد الصغير الى قضيب من حديد امّا الكبير فاستلّ مديةً لها حلقة وشفرة مُرهفة وقال لابيهِ: أتشاء ان تخطف روحهُ اختطافًا؟. فتوقّف الاب لحظة ثم هتف: على مَن يسعى أن يتمّم المسعى.

وبعد أن نفض الشابّان الطريق مشيا حثيثًا فما لبثا أن تواريا عن العيان

وكان يعقوب مذ جنّهُ الليل وانتشرت فوقهُ اجنحة الظلام يسير تعباً متثاقلًا حتى بلغ الغابة السوداء فزاد استيحاشه بين اشجارها المتكاثفة واضطرّ ان يقصّر الخطى اتّقاء الاخاديد وحذرًا من الاغصان التي تعترض المارّين ثم اخذ يصعد في العقبة المؤدية الى الطريق

وبينا هو كذلك اخذت خناقهُ يدٌ كأنها من حديد. وكفٌّ شثنةٌ أطبقت فمهُ فلم يكد يحتاط لنفسهِ حتى نزلت برأسهِ ضربة هائلة ضعضعت صوابهُ وجدّلتهُ على الارض صريعًا

فبقي المسكين زمنًا غائبًا عن الهدى ولمّا عاد اليهِ الرشد احسّ بآلام مبرّحة وكان الدم يتفجر من جبينهِ وقد صبغ وجههُ. ونظر فاذا ثيابهُ قد تمزّقت وجيوبهُ قُلبت فعاد في حالةٍ يُرثى لها. فحاول الوقوف مرارًا فخانتهُ القوّة لكنّهُ

تجلّد وجرّ نفسهُ الى بركة ماء قريبة وما اتاها حتى كاد يُغمى عليهِ وجعل يغسل الدم ويُزيل الاوحال. فانعشهُ الماء قليلًا حتى استطاع ان ينهض فعرف قبعتهُ وعصاه من بقايا ثيابهِ المبعثرة هنا وهناك. لكنهُ رأى من نفسهِ العجز عن أن يتمم سيرهُ فيقطع ما تبقّى لهُ من الطريق ففكَّر ان يرجع إلى الخمّار فيسعهُ هناك ان يتعافى قليلًا وفي الغد يستأجر عجلة تحملهُ الى قريته...

فراح المسكين يسحب جسمهُ المثخن بالجراح وادار ظهرهُ للغابة السوداء وقفل راجعاً على اعقابهِ

وفيما هو سائر كان يردّد في ذهنهِ ما جرى لهُ فكان يشكر الله على نجاتهِ ويحمده كل الحمد اذ وجد في طيّ قبعتهِ الاربع الورقات التي كان ربحها. ولمّا جاز الغابة بدت السماء من فوقهِ وقد تألّقت على صفحتها زُهر النجوم. فجثا على قدميهِ وصلى قليلًا ثم اخذ الايقونتين وقد كان وجدهما قرب الحفرة التي أُلقي فيها وقبلهما بعواطف الايمان والشكر

...

مضى على الخمّار ساعة وهو مبلبل البال قلق الخاطر وعيناه الحمراوان تكادان تخرجان من وقبهما. فعاد ابناه في اثناء ذلك فارغين ودخلا يجرِيان ويدمدمان. فلمّا علم ابوهما انهما قد رجعا خائبين تميَّز غيظاً وصاح بهما:

يا لكما من غبيين احمقين! كيف لم تعودا بالمطلوب؟

ثم اخذ يروح ويجيء كمن تخبّطهُ الشيطان

وكانت الحانة مضاءة بسراج والنور ينساب منها خلال الزجاجات وشبكات النوافذ فيشتبك في الخارج ببعض الخيالات فيتشخَّصُ للناظر مشهد مشؤوم

هذا والابنان مطرقان خجلًا وهما يعتذران بما لم يُصِبْ من ابيهما غيرَ اذنٍ صمّاء.

وبعد حين قال الخمّار لولديهِ: وهل اعدمتماه الحيوة في القليل

فأجابا جواب مَن قد فاز بالمنى وقالا: ورأسك لقد كدنا نطحنهُ طحناً

فقال الاب: او لم تجدا معهُ شيئاً؟

فاجاب الكبير: كلّا وقد قلبنا جيوبهُ وبحثنا في جميع ملابسهِ حتى في نعليهِ فلم

نعثر على قُصاصة ورقة. فكشر الاب عن انيابه وانتهرهما قائلًا: بُعدًا لكما من قدمين ابلهين

فاحتدم الكبير وقال: لو كنتَ مكاننا ماذا كنت صنعت ؟

فاجاب والشرر يتطاير من عينيه: لكنتُ بعد ما جدّلته حملته الى ههنا وجلست على ضوء السراج اقلّبه ظهرًا لبطن وابحث حتّى في اعماق جوفه

وفيما هو يتول ذلك اذا بيد مخشوكة تقرع الباب ولم يكن القارع المنتاب الّا يعقوب مصبوغًا بدمه . . . ولم يستطع الدخول لأن الباب كان مُرتَجًا . . فهبّ الخمّار واسرع ليفتح وهو لا يكاد يصدّق ما يرى . فدخل يعقوب فتساقط على الحانة سكوت الموت . وتولّى الجميع الهلع واخذتهم الرعدة كأنهم رأوا ميتًا قام من قبره وجاء ليحاسبهم فاصفرّت وجوههم واصطكّت أرجلهم وتحلّب العرق من جباههم وارتدّ الابنان الى الوراء يطلبان بايديهما المرتعشة حائطًا يعتمدان عليه . . اما الاب فاستمرّ وحده واقفًا في وسط الحانة وعيناه شاخصتان الى يعقوب دهشةً وخوفًا

فقال يعقوب متلجلجًا: او يدهشك يا صاح ان تراني على هذه الحال ؟ . . فأُرتج على الخمّار ولم يقوَ على الكلام . فكرّر يعقوب قوله ثم اشتدّ عليه الهزال فلم يعد يتمالك الوقوف فاستلقى على الكرسي وقال للخمّار: عليّ بكأس . . .

فأسرع الخمّار وهو لا يكاد يقوى ان يبسط يده ليسكب له الشراب . . فلما بلّ يعقوب غليله قال: تصوّرْ يا صاح اني وصلت الى الغابة السوداء . . فكنت اجوزها وانا غير حاسب للدهر حسابًا واذا بِعَدوٍّ عاجل راسي بضربة زعزعتني فهويتُ الى الارض

فابتدر الخمّار الكلام وقال: او لم تعرف الضارب ؟

فاجاب يعقوب: كلّا . . .

فتنفس الجميع الصعداء وقشعت عنهم كلمة يعقوب غيمة الكرب . فدنوا اليه فشرع يقصّ عليهم ما جرى له لكنّ الخمّار عاجله قائلًا: كأني بالاشقياء سلبوك جميع ما معك ! . .

فاجاب يعقوب بنغمة الظافر المنتصر: كلّا ! . . لم يسلبوني شيئًا . . كأنهم لم يطلبوا غير حياتي والبرهان ان الاربع الورقات لا تزال معي لم تمسها يد لص .

والايقونتان ايضاً !.. فكأن الشقي خشي اعينها الاربع وقد نظرت اليه شزرًا

فقال الخمّار بصوت مرتعش: واين كنت خبأت الاوراق؟...

فقال يعقوب: اين ؟.. في بطانة قبعتي..

وحينئذٍ خيّم السكوت ثانيةً فوق الحانة.. وتبادل الأشقيا، نظراتٍ مشؤومة كأنهم يتساءلون. أنجهز عليه للحال أم نتربّص قليلًا..

اما يعقوب وقد كان مشغولًا بجراحهِ فلم يلحظ شيئًا فطلب اليهم سريرًا..

فهتف الخمّار وقد ابرق وجههُ مسرورًا وقال: على الرحب والسعة ايها الضيف الكريم واذا لم يكن لنا سرير فرشنا لك الصدور وها اني اعدُّ لك سريري... سريري انا

فقال يعقوب: ليس السرير لسوى بضع ساعات فلا داعي لانزعاجك

فاجاب الخمّار بصوت مضطرب كأنهُ لم يعد يملك نفسهُ فرحاً بالغنيمة القريبة وقال: لا انزعاج منك يا يعقوب ولا كرب اصلًا فيا مرحباً بك!!

...

كان يعقوب بعد ساعة مستلقياً على السرير في غرفة الطبقة العليا فوق الحانة وقد آلمتهُ الكلوم وبرّحت بهِ الآلام. فكانت تلك الليلة ليلة الاوجاع فاستغرق هزيعاً من الليل ثم انتبه وقد تسرَّبت الحمّى فأهوى برأسهِ الى الوسادة وجعل يعالج النوم من جديد علَّهُ يجد فيهِ مخففًا لاوجاعهِ فلم يفلح. فعزم اخيرًا ان ينهض في طلب شيءٍ من الخلّ او غيرهِ ليفرك به بدنهُ. وراح يبحث في الظلام حافياً ونزل الدرج فلقي الباب المؤدي الى الحانة موصدًا. وبينما هو كذلك إذ سمع همساً فاعار اذنيهِ ليلتقط ما يقال فاذا الخمّار يقول: يا لكما من غرّين لا تجربة لهما. كيف لم تبحثا في القبعة وإنها لاوّل مخبأ يُخبأ فيهِ ؟. إليكما عني فما انتما الّا عارٌ على ابيكما. عمّا قليل تنظران كيف اتدبّر الأمر. ألا امهلاني ريثما يكون قد استغرق في النوم فترياً ثمَّ هل يصلد لي زند أم يطيش لي سهم. ويرى يعقوب أنَّ ايقونتيهِ لم تدفعا عنهُ الويلات

ثم اخذ يتبصر في الامر وينظر في الوسائل فقال: الأولى ان اميتهُ خنقاً فلا نضطرّ بعد ذلك ان ننزع ثيابنا. و إني قبل ان تبرد جثتهُ اقذف بها من النافذة الى

الحفرة التي تسرعان الان إلى حفرها تحت اكداس الدمن وليكن عمقها زُهاء ذراع

فلمّا سمع يعقوب ما سمع كاد يذهب عقلهُ فصعد للحال من حيث نزل ورجع الى غرفتهِ واخذ يتوسل بذريعة تنيلهُ النجاة ولكن اين المهرب والحديقة من ناحية والطريق من ناحيــة. فاذا رمى بنفسهِ سقط قريباً من الحانة فانتبه لهُ اعداؤهُ او نبح عليهِ الكلاب فضلًا عن ان السقطة تفتح كلومهُ. هذا اذا فُرض انهُ لا يموت بسقوطهِ

وفيما هو يتفكَّر ويتبصر خطر لهُ خاطر هائل فقال: إنهم لعازمون على قتلي. و.ا تلك بالمحاولة الأولى. و إني ارى ان الدين وشرائع الارض والسماء تُبيح الدفاع عن النفس وتحلّل قتل من اراد القتل

وكان الخطر ردّ لهُ كل قوى شبابهِ فنهض للحال يطلب سلاحاً يدرأ بــهِ عن نفسهِ. . . ؟ . ولكن اين السلاح ؟ فليس في الغرفة مــدية. . ولا عصاً. . . وإذ كان يبحث بصر بقنينة عظيــة مملوءة ماء معدنياً كانت منسيَّة في زاوية من زوايا الخزانة وتلك لعمر الحقّ تكون في يد من لم يعرف الخوف نعم السلاح. فحسر عن يديهِ فبدا ساعدان مفتولان ووقف وراء الباب ينتظر في ذلك الليــل البهيم وهو فاتح عينيهِ ناشر اذنيهِ ليعرف ما يعدُّون لقتلهِ

وكان الاشقياء قد شرعوا في حفر الحفرة تحت اكداس الدمن ويعقوب يسمع باذنيهِ صوت تراب مدفنهِ وقد رفعتهُ مجارف الاشقياء والقتهُ الى جانب القبر

فقال احد الابنين: أما يكفي هذا العمق ؟. فانحنى الاب ونظر ثم اجاب: عمّقا ايضاً قدر ربع ذراع

فاستأنف الثلاثة الحفر صامتين. . . وبعد بضع دقائق توقَّف الاب وقال لابنهِ الصغير: اين وضعت مدقَّة الحديد ؟

— وراء الباب. ولماذا ؟

قال لقد عدلت عن رأيي وبدا لي ان اسلبهُ الحيوة بضربة تسحق رأسهُ. فذلك خير من خنقهِ وأسرع لحتفهِ

ثمَّ دخل الحانة فعــاد بالمدقَّة وهمَّ بالذهاب فخطر لهُ ان يستثبت عمق الحفرة ثانيةً وبعد ان تفحصها قال: حسن. لكن الامر يتطلَّب منتهى الانتباه فانتبها. واني

اقذف بكبابه سخناً فتلقيانه للحال في الحفرة لئلا يبقى فيه رمق ثم تحثوا عليه التراب ولكن حذار حذار من سراج او شبه نور فحسبنا مارٌ ليكشف الامر. فهيا...

فاجاب الابنان: ها نحن ذان

وقال الاب: الان جاءت نوبتي...

اما يعقوب فكان عند ذاك متستراً بين الباب والحائط فسمع نأمة الخمّار يخلع نعليه ليحتفي ثم اخذ في الصعود بمنتهى الهدوء والسكوت..

فكان كلٌ من البقّار والخمّار تحت الظلام يتجسس حركات صاحبه وكلاهما يحبس نفسهُ خيفةً ان يدري الآخر به..

فلمّا انتهى الخمّار الى قمّة الدرج توقّف لحظةً شأن من يتردّد قبل الاقدام على خطب فظيع.. ثمّ تقدّم بكل احتياط ففتح الباب وقارَ اليه ماشياً على اطراف قدميه متنحياً ناحية السرير...

لكنهُ لم يخطُ خطوتين حتى ابتدره يعقوب بضربة هائلة على أمّ رأسه واتبعها بثانية وثالثة كما يعيد الحطّاب الضرب على جذع شجرة أبت ان تسقط. فثنى الخمّار ركبتيه وبسط يديه المتشنجتين بسطاً مخيفاً وخرَّ صريعاً. فدمدم احد الشقيين من أسفل قائلاً: لقد تمَّ العمل

فما كان من يعقوب إلا ان نزع ثياب الخمّار وفيها مفاتيح الدار وتعجّل لبسها وألبس الجثّة ثوبهُ الموحل الممزّق وعصب موضع الجرح ورمى بالاب الى ولديه

فسحبها يجرّانه الى الحفرة فزجّا به فيها واندفعا يحثوان عليه التراب فصدق به المثل "من حفر حفرة لاخيه وقع فيها"

وقد كانت تلك الحلّة في عين يعقوب ثمينة فانتهزها وتسلّح بعدّة الحديد إذ ان الزجاجة قد تحطّمت على رأس الشقي وأسرع الى الدرج فنزلهُ وهو لا يلوي على شيء. ولم يكن لينسى قبعتهُ وفيها الاوراق المالية تامّة براحة. فجاز الحانة خاويةً خالية وهياجهُ عظيم حتى لم يعد يشعر بألم جراحه. ووصل الى الباب البرّاني ففتحهُ ثم اقفلهُ وراءهُ واخذ الطريق واطلق ساقيه للريح

...

لم يمضِ على الحادثة ساعة حتى وفد الى الحانة خمسة جنود ومن ورائهم عجلة

فيها يعقوب. وكان ابنا الحمّار اذ ذاك جالسين في احدى زوايا الحانة يتحدثان بغضب وقلق وهما يجهلان سبب اختفاء ابيهما فكان يُخيَّل اليهما انهُ يطوف البريَّة فرحاً وجيوبهُ محشوة اوراقاً ماليَّة. وانَّهما لكذلك اذ فُتح باب الدار بغتةً وابصرا الجند قادمين فتولَّتهما الدهشة وارتعدت فرائصهما لاسيما وقد نظرا من خلال حراب الجنود وجه يعقوب الدمّي. وقد كانا يحسبانهِ انهُ صار من سكّان القبور فوقفا مدهوشين شاخصين

فدنا زعيم الجند وقال للاخ الكبير: اين ابوك؟ فاجاب هذا متلعثماً: لا اعلم!

فانتهرهُ الزعيم قائلاً: إن كنت تجهل مكانهُ فتعال لأُريكهُ. واتَّجه نحو الحديقة وتبعهُ الجميع والابنان ايضاً وقد كان القرويون اسرعوا جميعهم وراء الجنود ليعلموا ما الخبر. فامر الزعيم الولدين ان يستأنفا الحفر ففعلا مرغومين

وهناك... على مشهدٍ من الجنود نبش الابنان جثَّة ابيهما!... فاخذ الجميع ذعرٌ شديد. وكانت جثة الحمَّار مشوَّهة لأن والديهِ كانا وطئا وجههُ بارجلهما وخدشا جسمهُ بمجارفهما

ولمَّا ان بسطوا الجثة على رمال الحديقة كانت الشمس قد بزغت من وراء الافق وألقت اشعتها فوق تلك النواحي. فرأى الجميع عقاب الله وشاهدوا عدلهُ الرهيب!!

فرسم يعقوب على صدرهِ اشارة الصليب والتفت الى الجثة فقال: ليغفر لك الله ثم ارتدَّ الى الابنين وقال: ايها الاخوان إني ناصحٌ لكما ان يحمل كلٌّ منكما على صدرهِ ايقونة حتى تكون لكما درعاً تتقون بها سهام البوائق وحرزاً يصونكما من شرّ النوازل والغوائل!... وما مرَّ على هذا الحادث اسبوع حتى نال الولدان جزاء عملهما فشنقا

زراعة التبغ التركيّ في لبنان

للشيخ يوسف افندي الجميّل الاجتماني القانوني ورئيس اعمال المختبر الكيماوي سابقاً (تابع)

تفق البزر (التفقيس)

تفق البزر (التفقيس) يتمُّ عادةً بعد بَذرهِ في الارض بعشرة ايام الى عشرين يوماً

وربَّما تأخَّر الى ثلاثين يوماً وذلك على حسب قوَّة الحرارة كما هو معلوم

والبعض من الزارعين اذا ارادوا تعجيل التفقيس اخذوا ماء فاتراً فجعلوا فيه البزر مدَّة ٢٤ ساعة ثم يبذرونهُ كما سبق . ومنهم من يسقي المساكب بماء يذوّبون فيهِ زبل الطيور العتيق المعروف بالغوانو (guano) ولكن لا يجوز الالتجاء الى هذه الطريقة الَّا وقت الضرورة عند ما يسقط البرد او الجليد على المساكب « البكيرة » او اذا فتكت بها الحشرات . لأن البزر الذي ينبت نبتاً طبيعياً تكون اغراسهُ اشدّ وافضل

امَّا اذا اردت تقوية الاغراس (الشتول) الصغيرة امكنك ان تسقيها في بدء الامر حيناً بعد آخر بنقيع الغوانو بمعدَّل ٣ كيلو في كل مئة ليتر من الماء . ذلك ان رأيت نبات المساكب ضئيلاً . ولكنهُ من النادر ان يضطرَّ الزارع الى اتخاذ مثل هذه الوسائل . وعلى كل حال لا يجوز الافراط منهُ

السَّقي

ومتى ذرَّ (فقّس) النبات تُسقى المساكب كل يوم او يومين او كل ثلاثة او اربعة أيام على حسب رطوبة التربة . والقاعدة في ذلك ان المساكب تُسقى اذا كاد يتمُّ جفافها فترى ورق اغراسها (شتولها) الصغيرة آخذاً في الميل للذبول . فانَّ الاصول (الشلوش) تتعوَّد هكذا على العطش سريعاً فتتأصل في التربة لتنال منها الرطوبة وتتلقَّى الماء عند سقيها برغبة اعظم . ولا بأس اذا تأخر نموّ النبات أياماً فانَّهُ يكون اشدَّ قوَّة واصلب عوداً . وبعكس ذلك اذا افرطتَ في السقي بقيت اصول التبغ رخوةً (حشيشيَّة) دون صلابة ولا شدَّة . بل ربَّما تجعَّدت الاغراس وتقبَّضت . ولا نعني بكلامنا ان يكون السقي قليلاً ناقصاً وانَّما المراد ان يكون كافياً معتدلاً لئلا تيبس اذا قلَّ سقيُها او تضوَّل وتضعف اذا بُولغ في ريّها

متى رأيتَ الاغراس نبتت خمسة اوراق بعد السقي المعتدل الذي وصفناه عرفت بذلك انها تصلح لأن تُنقَل للزرع . والاغراس الطريَّة لا تعلق بالارض الَّا اذا غُرست في وقت (طقس) مناسب ذي رطوبة وقليل الحرّ ويعقب غرسَها (تشتيلها) مطرٌ كافٍ او سقيٌ غزير . امَّا الاغراس الكبيرة التي بلغ مثلاً عدد ورقها الثمانية فهي معرَّضة للجفاف والتلف لاتساع سطح ورقها . وان اردت علامةً لمعرفة نضج

الساكب ما خلا عدد الاوراق فعليك ان تنظر الى صلابة ساق كل غرسة أي‍ْ تثنيت الساق بين الاصابع ويلتوي دون ان ينكسر فان وجدته كذلك كان صالحاً للنقل (للانتقال)

نقل الاغراس (الشتول) من المساكب

اذا اعتمدت اقتلاع الاغراس (الشتول) الى المكان المعدّ لها فاسق المساكب بغزارة في مساء اليوم السابق للعمل ثم اسقها ثانية في صباح يوم نقلها باكراً ، وبعد ساعة من الزمان اي بعد ان يكون الماء نفذ في التربة ونشفت الاوراق يباشر العمّال او العاملات شغلهم فيقتلعون الاغراس برفق ولطف وذلك بأن يضعوا الاوراق بين الاصبعين الإبهام (الباهم) والسبّابة ثم يسحبون الاغراس بلين بحيث تخرج اصولها سليمة دون ان تضرّ بالاغراس المجاورة لها التي لم تبلغ نضوجها بعد

واذا اقتلع العامل الاغراس فرداً فرداً عدّها حتى يبلغ عددها الخمسين فيسلّم الحزمة للناظر، أمّا الناظر فيتلقّى الحزم على لوح ويجعلها صفوفاً متعاكسة فيوازي رأسُ الحزمة ساق اختها على سواء، وبهذه الطريقة يكون وضع الحزم مرتباً ويُستغنى عن ربطها بخيط فانّ الربط يضرّ بالاغراس بضغطه عليها وترضيضها

وبعد ذلك يقيد الناظر انواع الاغراس وعددها وارقام (نمر) المساكب والمكان المعدّ لها ومن الواجب على الناظر ان يضبط تقييد عدد الحُزَم وكدسها مرّة واحدة لأنّ كثرة تقليبها وتداول الاغراس بين الايدي يؤثر فيها وينثر ما يعلق في جذورها من التربة التي تفيدها كثيراً وتسهّل غرسها

واحسن طريقة لنقل هذه الاغراس ان تأخذ صناديق خشبية او علب كاز او سلالاً تفرش في اسفلها عشباً طرياً او حشيشاً مرطّباً بقليل من الماء فتبسط فوقها الاغراس حُزماً متعاكسة خمسين خمسين بدون ضغط، ثم تغطي تلك الصناديق او السلال باعشاب طرية غير مبلّلة بالماء . فاذا جُهزت الاغراس كما وصفنا امكن الزارع ان ينقلها الى اماكن تبعد مسافة يومين اللهمّ اذا كان السفر ليلاً والهواء معتدل الحرارة

وافضل وقت لاقتلاع اغراس المساكب هو الصباح باكراً او المساء قبل غروب الشمس بساعتين او ثلاث ساعات ، واذا فرغ العامل من اختيار الاغراس يجب

سقي المساكب لتساوي التربة حول ما بقي فيها من الفسائل الصغيرة التي تعرّضت اصولها (شلوشها) للهواء ، وتجرّدت عند اقتلاع الاغراس المجاورة

واعلم انهُ لا يوافق الاغراس المقتلعة ان تُغمس في الماء لأن ذلك يعرّضها للذبول . فان اقتضى الامر تأجيل نقلها وغرسها لمدة فالاولى ان تجعل في قبو او في غرفة طوبة بعد ان تُرش الارض بالماء . ثمّ تجهز الفسائل بحيث تكون جذورها على المكان الرطب

والافضل ان تُغرس الفسائل المقتلعة في يوم قلعها والسرعة في ذلك محمودة . ومن هنا تعلم الفائدة التي تعود على كل فلاح اذا تولى زرع مساكبه لنفسه وكذلك ما يناله من الفائدة أن يخص كل بقعة من اراضيه بمسكبة لها اذا كانت اراضيه عديدة يبعد بعضها عن بعض

وينبغي على الزارع ان يضع على كل مسكبة رقماً (نمرة) ويقيّد في دفتر خاص جنس البذر المزروع فيها ووزنهُ وتاريخ بذره ونقعه وبلوغه مع عدد الاغراس (الشتول) التي أُخذت منهُ وتعريف المكان الذي نُقلت اليهِ

وفي هذا الدفتر عينه تُدوّن الملحوظات اليوميّة المختصة بكل مسكبة كذكر سقيها بنقيع زبل الغنم اذا جرى استعماله وما تكون قد سبَّبتهُ الحشرات من الأتلاف مع ما تخذ من الوسائل لإزالتها والنتائج الحاصلة منها

اعداء المساكب

اولها (المالوش) وقد سبق المشرق (٣ : ٢٩٣) فنشر مقالة طويلة في هذه الهامّة (الحشرة) لجناب الاديب سليم افندي اصفر مفتش الزراعة سابقاً في لبنان وهناك تجد وصفها وصورتها وطبائعها وبيان اضرارها وطرائق إتلافها

واعلم ان هذه الحشرات من اسوإ الآفات لاغراس التبغ ليس لكونها تقرض اصول النبات كما يظن البعض ولكن لأنَّها تسعى وراء قوتها من الهوام الصغيرة التي تنسر في الماء فلإدراك هذه الغاية تفتح بمخالبها قنوات ومجاري قريباً من سطح الارض فاذا وُجدت اصولًا لنبات او جذوراً قطّعتها وقرضتها فلا تلبث الاغراس ان تتلف . والاسراب التي يحفرها المالوش تنتهي عادة بثقب عموديّ يبلغ عمقهُ الى

نحو ٣٠ او ٤٠ سنتيمتراً تضع الانثى بيضها في قعره. والبيض في كل حمل لا يقل عن ٣٠٠ بيضة

والمالوش يستطيب غالباً الاراضي الرطبة والكثيرة السماد ولذلك يحسن بالزارع ان يحيد لمساكبه عن الاراضي التي اشتهرت بكثرة تلك الدويبة ويختار لتسميدها زبلاً ليس فيه شيء منها او من بيضها

ومن اراد ان ينجو من شرها على قدر الامكان جعل قبل غروب الشمس كوماً من السماد الطري في انحاء المساكب فالمالوش يتراكض اليها ويقيم في وسطها. فعلى الزارع ان يعجّل صباحاً قبل النهار ويحمل هذه الكوم في صناديق وينقلها بعيداً من المساكب ثم ينشر السماد المذكور ويسحق بحجر المالوش المنتشر بينها واحداً بعد الآخر ويمكنهُ ايضاً ان يأتيهُ في سطل يملأ نصفهُ ماء ويزجهُ بقدح من كاز البترول. ويجوز ايضاً اذا لقي الزارع ثقب المالوش ومدخلهُ العمودي السابق ذكره ان يصب فوقهُ الماء الممزوج بالكاز رأساً او شيئاً من الزيوت فان الكاز والزيوت تقتل الهوام خنقاً من ساعتها

انواع (الحلزون) والبزّاق تثقب ورق التبغ وتتلف اغراسها فيلزم الزارع ان يبحث عنها صباح مساء فيقتلها

(الخلد) هو موذٍ بما يحفره من الاسراب والخنادق فللنجاة منهُ يجب ان توضع بقرب اوكاره فخاخ صغيرة. ومما اختبرتهُ آخراً فنجح الاختبار انني وضعت في بصل صغير (قنّار) شيئاً من الستركنين فتهافت اليه الخلد فمات تسمُّماً. ويمكنك قتل الخلد توّاً متى رأيت ارتجاجاً على سطح التراب يدلُّك على ان الخلد يحفر نفقاً هناك

(النمل) قد توفقنا الى طريقة بسيطة للتخلص من النمل هاك تفصيلها: احفر على مسافة نصف متر من وكر النمل حفرة عمقها وعرضها نحو خمسة وعشرين سنتيمتراً وضع بينه الحفرة إناء من تنك او نحاس مبيَّض وبالاحرى نصف تنكة كاز فارغة بنوع ان يكون اعلى حافة التنكة اوطأ قليلاً من مساواة سطح الارض ثم ضع في التنكة قليلاً من الماء بعد ان تذوب فيه شيئاً من السكّر. ثم عُد الى الوكر وأحطه بالرماد وأقم على جانبي طريق النمل حاجزاً من رماد يمنع النمل من السير الى غير جهة الحفرة حيث تجذبهُ حلاوة السكّر. وهناك يسقط ولا يمكنهُ بعد الخروج لان

جدران التنكة صقيلة وواقفة عامودياً . وبهذه العملية ترى ان معظم نمل الوكر لا يلبث ان ينتقل من قريته (عشه) الى الحفرة حيث يمكنك قتلهُ بالنار او بماء مُغلى

يوجد ايضاً بعضُ حشرات وديدان قد يمكنها ان تؤذي هذه المبذورات والمزدرعات . على ان التخلص منها يكون بواسطة الماء الممزوج بالكاز او القرمول او بالرماد الناشف صرفاً او ممزوجاً بسولفات النحاس او الرمل الرفيع الممزوج بالقرمول

وعلى كل يجب المحافظة في تلك الاماكن على العصافير اجمالاً وعلى الدوري منها خاصةً لانها تفتش عن هذه الحشرات وتتغذى منها وتصبح اكبر آفة لهذه الهوامّ والطيور لا تؤذي قط المساكب (لهُ بقيّة)

الادهميّة (الهيدميّة)

او مغارة ارميا النبي

بقلم حضرة الاب فرنسيس دونكل من الآباء اللعازريين الالمانيين

ان في المدينة المقدسة وضواحيها اماكن شتَّى تستحق الذكر والزيارة منها ما هو على سطح ارضها ومنها ما تحجبهُ في بطنها كالمغاور العديدة التي تُرى فيها او في جوارها فمن اعظمها شأناً واكثرها شهرة مغارة يعرفها المسلمون بالهيدميّة ويدعوها النصارى مغارة ارميا النبي

وموقع هذا الكهف في خارج مدينة القدس الشريف في شمال سورها ليس بعيداً عن بابها المعروف بباب العمود وعن الدار الفخيمة التي ابتناها الكاثوليك الالمانيون الشهيرة بنزل مار بولس

وقد أُطلق على هذا الكهف اسم مغارة ارميا لأن قوما من اصحاب الآثار ذهبوا الى ان هذا النبي بعد حصار اورشليم وخرابها الأول على عهد نبوكد نصّر اعتزل فيها وناح هناك على المدينة المقدسة ورثى هيكلها وبكى على شعبها اسرائيل المسوق الى جلاء بابل بل ارتأوا انَّ ارميا دُفن هناك

امّا اسمها الهيدميّة عند العرب فهم يطلقونهُ ليس على المغارة فقط بل على الربوة والمقبرة اللتين تعلوانها. وقد سألت سكّان القدس المسلمين عن اصل هذا الاسم فكان جوابهم انّ اسم المكان قديم جدّاً وانّهُ دُعي كذلك باسم احد العارفين (الدراويش) المسمّى « هيدم » الذي سكنَ هناك وانشأ طائفة الهيدميّة. ولم يمكنّي ان أطّلع على شيء اكثر من ذلك عن تلك الطائفة ومُنشئها. ثم تقصّيت في البحث فوجدت ان في قولهم صحّةً غير انّهُ وقع في الاسم تصحيف فقالوا « هيدم » ونسبوا اليهِ الطائفة « الهيدُميّة » والصواب « ادهم » و « ادهميّة » جريًا على قلب العامّة لبعض الالفاظ كما قالوا « جَوْز و نَعَل » يريدون « زوج ولَمَن » .

والدليل على ان اسم المحلّ هو الادهميّة ما جاء في كتاب « الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل » لمجير الدين الحنبلي الذي صنّفهُ سنة ٩١٠ للهجرة (١٤٩٥م) فدونك ما كتبَهُ عن التلّ والمقبرة التي يدعوها بالساهرة ثمّ عن كهف الادهميّة قال بعد وصفهِ لقبر مريم عليها السلام (طبعة مصر ج ٢ ص ٤١٢) :

* الساهرة * وهو البقيع الذي الى جانب طور زيتا (جبل الزيتون) من جهة الغرب. وعن ابراهيم ابن ابي عبلة في قوله تعالى « فاذا هم بالساهرة » قال (الساهرة) البقيع الذي الى جانب طور زيتا قريباً من مصلّى عُمَر معروف بالساهرة. وفي حديث ابن عُمَر انّ ارض المَحشَر تُسمّى الساهرة واصل الساهرة الفَلاة ووَجهُ الارض وقيل الارض العريضة البسيطة والساهرة عند العرب الارض التي تبحث سالكها على السهر للسُّرى فيها لينجو منها. ومعنى الساهرة ارض لا ينامون عليها ويسهرون. قلتُ : وهذا البقيع هو المعروف بالساهرة ظاهر مدينة القدس الشريف من جهة الشمال وبهِ مقبرة يُدفَن فيها موتى المسلمين وبها جماعة من الصالحين والمقبرة مرتفعة على جبل عالٍ

* الادهميّة * وسفل هذا الجبل كهفٌ من العجائب وهو زاوية للفقراء الادهميّة داخل تحت هذا الجبل في صخرة عظيمة وتسمّى مغارة الكتّان. والمقبرة التي هي الساهرة علو سقف هذه المغارة بحيث انهُ لو امكن حَفْر القبور أسفلها لنفذ الى الكهف الذي هو زاوية الادهميّة ولكنّ المسافة بعيدة فانّ الصخرة سمكة ضخمة جدًّا ويلغز في هذا بأن يقال « احياء تحت اموات » وهذا الامر مُشاهَد عيانًا وقد عمّر هذه الزاوية الامير مَنجك نائبُ الشام ووقف عليها هو وغيره من اهل الخير. وفيها قبور جماعة من الصالحين وعليها الانس والوقار

* مغارة الكتّان * ومقابل الساهرة من جهة القبلة تحت سور المدينة الشماليّ مغارة كبيرة مستطيلة وتسمّى مغارة الكتّان ايضاً يقال انها تصل الى تحت الصخرة الشريفة ودخلها جماعة وحكوا عنها اشياء من الامور المهولة »

فيتضح من النص المذكور ان مجير الدين وصف مغارتين الواحدة تحت مقبرة المسلمين الشمالية وهي الشهيرة اليوم بالادهميّة والاخرى تحت سور المدينة الشمالي يدعوها مغارة الكتّان. وبقي الامر مبهماً الى السنة ١٨٥٢ اذ كانت مغارة الكتّان مسدودة وكان بابها مطموماً تحت الردم. ففي تلك السنة سقط جزء من سور المدينة الشمالي ولاح مدخل عميق وظهرت المغارة المخفيّة واذا هي كما وصفها مجير الدين في شمالي المدينة مقابلة لنزل مار بولس الجديد خاصّة الالمان الكاثوليك وبازائها مغارة ارميا التي دعاها الكاتب بالادهميّة

هذا وانّ مجير الدين ضرب صفحاً عن ادهم المنسوبة اليه هذه المغارة ولا شكّ انه الوليّ الفقير الصالح الذي وصفهُ ابن بطوطة في رحلته (ج ١ ص ١٧٣ من طبعة باريس وص ٤٤ من طبعة مصر). فذكر هناك من ورعهِ انّهُ اذ كان يتوضأ في نهر يتخلّل احد بساتين بخارى رأى تفّاحة يحملها ماء النهر فاكلها ثم وقع في خاطره وسواس من اكل مال الناس فدخل البستان واستحلّ صاحبتها فأحلّته من نصف التفّاحة لأنّ البستان كان نصفهُ لها والنصف الآخر للسلطان وهو في بلخ فرحل الى بلخ وهي على مسافة عشرة ايام فاستحلّ السلطان فتعجّب السلطان من ورعهِ وزوّجهُ بابنته فمات بعد قليل وخلّف ابناً شهيراً بالزهد (١ مثلهُ دُعي ابراهيم. فجعلهُ السلطان وليّ عهده. لكنّ ادهم آثر الزهد وطاف في البلاد سائحاً وتوفي سنة ١٦٢ هـ (٧٨٠م) وقُبر في مدينة جبلة في بلاد النصيريين ولهُ على قبره زاوية يزورها النصيريّة ليلة النصف من شعبان ويقيمون عندها موسماً حافلاً. امّا نسبة مغارة ارميا التي الى ادهم فالظاهر ان الامير منجك نائب الشام الذي ذكره مجير الدين جعل قوماً من الفقراء الزاهدين على طريقة ابن ادهم في الزاوية التي ابتناها هناك وحبس عليها الاوقاف فعُرفت بالادهميّة. ويزعم البعض انّ ابراهيم بن ادهم كان انشأ هذه طائفة الفقراء في البادية فانتشرت في امكنة اخرى

هذا وان مغارة الادهميّة (الهيدميّة) شائعة الذكر لا يجهلها احد من زوّار القدس وقد وصفها كثيرون في المجلّات وفي اخبار رحلهم الى الاراضي المقدّسة. امّا

(١ طلب خبر زهد ابراهيم بن ادهم عن الشريشي في مجاني الادب (ج ٤ ص ٦٣)

تاريخها فلم يغتبانه احد حتى الآن. فاننا اذا راجعنا التواريخ القديمة لا نجد لها اسماً قبل الحروب الصليبيّة كما اشار الى ذلك الدكتور توبلر الالماني في مؤلفه (Tobler : *Topographie*. II B^d) اما بعد الصليبيين فسكنها الفقراء الادهميون كما ذكر مجير الدين في القرن الخامس عشر ونظن انها لم تزل منذ ذلك الوقت مأوى للدراويش السنّيين كما هي الآن وهم يتقاضون رسماً من طالبي زيارة المغارة

وقد سبق انّ فوق المغارة تلّ يعلوها ولهذا التل صورة غريبة تستلفت الحاظ القاصي والداني. وقد وجّه اليه النظر خصوصاً السيّاح الانكليز والاميركان البروتستانتيين منذ سعى بعضهم في السنين الاخيرة من القرن المنصرم في البحث والتفتيش عن جبل الجلجلة. فانهُ وُجد بينهم قوم دقّقوا النظر في هذا التل فتصوّروا انهُ يحاكي جمجمة الانسان لهُ في معاطفه شبه المحجرَين للعينين وشبه ثقبي الانف وثغرة الفم وغير ذلك من الاختراعات الخياليّة الغريبة التي حدتْ بهم الى القول بأنَّ هذا التلّ هو جبل الجلجلة (١ الذي صُلب عليه السيد المسيح وانّ مغارة ارميا النبي هي القبر المقدس الذي قُبر فيه. وممّا زاد هؤلاء تمسّكاً في رأيهم انّ مركز هذا التل على مفرق طريقين قريب من المدينة مشرف على احد ابوابها (٢ واثباتاً لزعمهم عمدوا الى تقليد وهميّ نسبوه الى اليهود الاسبانيين المعروفين في القديم باليهود «السفرديم» وهو انّ هذا المحلّ كان يدعى عندهم «بيت الرجم» اي محلّ عقاب المجرمين فاستنتجوا من ذلك انهُ ولا ريب محلّ الجلجلة الحقيقيّة (٣

وكان السابق الى هذا الرأي الغريب في موقع الجلجلة على تلّ الهيدميّة هو المستر كوندر (Conder) المعروف بقلّة ترويه في الابحاث وذلك سنة ١٨٧٨ ولم يقع زعمهُ عند احد موقع الصواب بل تصدّى له كثيرون فابطلوا زعمهُ حتى الى سنة ١٨٨٢ الجنرال كوردون فتبنّاه واشهره بما كان لهُ من النفوذ لدى الشعب الانكليزي

---

١) وزعم هؤلاء انّ يوحنّا اشار الى هذا المحلّ في انجيله حيث قال (١٩ : ١٧) : فخرج يسوع وهو حامل صليبهُ الى الموضع المسمّى الجمجمة وبالعبرانية الجلجلة

٢) ونسبوا الى هذا التلّ قول يوحنّا (١٩ : ٢٠) : «وهذا العنوان قرأهُ كثير من اليهود لأنّ الموضع الذي صُلب فيهِ يسوع كان قريباً من المدينة»

٣) واليهِ نسبوا آية يوحنّا (١٩ : ١٨) : «وهناك صلبوهُ وآخرَين معهُ»

فاخذ السيّاح البروتستانيّون من انكليز واميركان يتسابقون مذ ذاك الحين الى تلّ الهيدميّة بدعوى ان ثَمَّ جبلَ الجلجلة وانَّ بقربهِ قبر المسيح يريدون مغارة ارميا النبيّ ويدعونهُ « قبر البستان » (١ وقد أُطلق على هذه الجلجلة المزعومة اسم مكتشفها او بالحري المتنصر لها فسمّوها جلجلة گوردون (Gordon 's Calvary)

هذا هو رأي هؤلاء المحدثين فترى ماذا يقول فيهِ العلم الصحيح ؟ نجيب انّنا نرى بكل اسفٍ انَّ حبَّ المماحكة قد اعمى بصائر المرتابين بهذا الرأي فتركوا التقاليد التاريخيّة القديمة الراهنة التي تثبت موضع الجلجلة منذ الاجيال الاولى والتي رواها لنا ابو التاريخ الكنسي الشهير اوسابيوس القيصري وتمسّكوا بتقليد يهوديّ حديث العهد لا سند لهُ (٢ وذلك ما يثبت لنا ما هو مشهور عنهم انّهم يفضّلون الاساطير اليهوديّة ورواياتهم الفريّة على التقاليد الكاثوليكيّة الراهنة الحجج (٣

وليت شعري ما هي في الحقيقة هذه الجلجلة الجديدة ؟ خدعة وكذب. قال الاستاذ دوسترفلد في رحلتهِ (Düsterwald : *Erste deutsche Maennerwall-fahrt nach Rom u. Jerusalem*, 1900) : يوجد بقرب نُزل الالمان الكاثوليك تلّ غريب يدعى « جلجلة الاميركان » وقد لقبهُ بعضهم بهذا الاسم اذ لم يقف لهُ على ذكر في التواريخ والتقاليد الثابتة. ولا يسعنا الّا ان نرفض هذا الزعم الباطل رفضاً باتّاً. اه

ومن غريب الامور ان الانكليز انفسهم بعد ان ابتكروا هذا الرأي واولدوه سِقاطاً انكروا اللقيط رضيعاً ونبذوه على قارعة المشارع فلم يلتقطهُ احد فامسى عليلاً ضئيلاً وصار على آخر رَمَق حتّى استعدّوا لدفنهِ غير آسفين على انقصاف عمرهِ

١) اشار الى قول يوحنا (١٩ : ٤١) « وكان في الموضع الذي صُلب فيهِ بستان وفي البستان قبر جديد . . . فوضعاهُ هناك »

٢) قال الانكليزي ولسون (Wilson) « انَّ السنرديم لم يحلّوا في اورشليم قبل الجيل الخامس عشر امّا تقليدهم في موضع « بيت الرجم » على تلّ الهيدميّة فلم نجد لهُ ادنى ذكر قبل الربع الاخير من القرن التاسع عشر »

٣) وذلك عملاً بالقول المأثور عندهم « لا بأس من الاحاديث اليهوديّة ونبذ الاقاويل الكاثوليكيّة « Judaïca est, non olet ; Catholica sunt et hæc est alia res »

على ان بعض افرادهم كما بلغني اخذوا في هذه المدة الاخيرة يطلون النفس باحيانه لغايات يكتمونها. والدليل على ذلك ما يدسّونهُ بين السلع القدسيَّة فوقفتُ عليهِ صدفةً. فمن هذا القبيل تصاوير شمسيَّة يعرضونها على الزوار يعبرون عن فحواها بكتابات في اللغتين الانكليزيَّة والفرنسويَّة فالصورة التي تمثل الهيدميَّة قد كتبوا في ذيلها من جهة بالانكليزيَّة « جلجلة گوردون » (Gordon's Calvary) ومن الجهة الاخرى بالفرنسويَّة مغارة ارميا النبي (Grotte de Jérémie) كأنهم يساوون بين الرأيين فيخدعون الناس

ومن ذلك ايضاً مجموعة ثانية مؤلفة من ٣٦ « كارت پوستال » فيها تصاوير شتى وفي خلف كل صورة شرح معناها باللغات الثلث الانكليزيَّة والالمانيَّة والفرنسويَّة ما عدا واحدة منها وهي الممثلة للهيدميَّة فانَّهم كتبوا عنوانها بالانكليزيَّة فقط جلجلة گوردون (Gordon 's Calvary) فما ترى قول كل منصف منزَّه عن الاغراض في كل هذا التلاعب ؟ الَّا انَّ مختلقي هذه البدعة التاريخيَّة لا يعتمدون لرواج بضاعتهم الَّا على بعض السذَّج الاغرار من طائفة السيَّاح الانكليز والاميركان

ولكن دعنا وهذه الدسائس الصبيانيَّة. ولنرجعنَّ الى التاريخ الصادق لعلَّهُ يفيدنا شيئاً عن امر هذا التل وهيئتهِ في ايام السيّد المسيح. قال العالمان الاثريَّان گيران (Guérin) الفرنسوي وولسون (Wilson) الانكليزي انَّ تلّ الهيدميَّة كان في عهد المسيح على غير هيئتهِ اليوم. فتراه اليوم منفرداً وقد كان وقتئذٍ متصلاً بالجبل المقابل لهُ داخل المدينة والمعروف عند الاقدمين بجبل بيزيتا (Besetha) بحيث كانت المغارتان التي سبق لمجير الدين وصفهما اي مغارة ارميا ومغارة الكتّان كهفاً واحداً متسع الارجاء. ذكره يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير ودعاه بالمغاور الملوكيَّة

وقد قُسم الكهف قسمين سنة ٤٣ للمسيح على عهد هيرودس اغريباً ليبني بينهما سورٌ ثالث لمدينة اورشليم وذلك ما اشار اليهِ يوسيفوس المؤرخ قال عن هذا السور: « انهُ يمرُّ وسط المغاور الملوكية » وقد هدم هيرودس سطحها واخذ حجارتها لتشييد السور ثمَّ حفر وسطها خندقاً تحصيناً للمدينة

ولما قام ادريانوس بعد هيرودس بنحو مائة سنة وسّع الحترة واخذ من حجارة التلّ لترميم ما تهدَّم من المدينة. وكذا فعل من بعده ملوك الروم بل رأينا مثل هذا في أيامنا لما قطع المسلمون حجارة من هذه الاغوار ليبنوا سور القبة التي تعلوها

وعليه يمكننا القول مع ولسون انَّ الفسحة التي تفصل السور ومغارة الكتّان عن مغارة ارميا وتلّ الهيدمية تكوَّنت بعد الميلاد بتوالي الاعصار وانَّ التلّ لم يكن على زمن السيد المسيح بالهيئة التي يُرى عليها اليوم وان انصار گوردون لفي غرور وضلال مبين اذ اخذوا دليلهم من شبه تلّ الهيدمية بالجمجمة ليجعلوهُ جبل الجلجلة الحقيقي. وكفى به الآن تفنيداً وبرهاناً. ولنا في مغارة الكتّان كلام خاصّ نفصّله مرَّة اخرى ان شاء الله

نظر في احوال العام المنصرم

للاب لويس دي رقال اليسوعي (لاحق بسابق)

٢ احوال الدنيا

❊ اسبانية ❊ بيّنا في مقالتنا السابقة ما يتهدَّد لسبانية من الاخطار بسوء تصرُّف وزارتها الحاليَّة نحو الدين وارباب ولستفحال الثورة من جرَّاء ذلك. ومن الدلائل الحديثة على الامر مكيدةٌ كادها بعض الاوباش للوزير الكاثوليكي السابق السيو ماورا اذ اطلق عليهِ مسدَّسهُ في ٢٢ تموز في برشلونة فجرحهُ فقط

ولمَّا ثارت فتنة البرتغال قلقت الافكار في لسبانية لسيها فخاف الاهلون من رَجع صدى تلك الحوادث الفاجعة على بلادهم لكنَّ الله نجّاهم من شرّها فأفرخ روعهم. واذ كان الملك وقرينته يطوفان في انحاء المملكة استقبلتهما الرعايا بمزيد الأُبَّهة وغاية الاكرام وخصوصاً في بلنسية — ولكن يسوءنا القول بان المشاكل الدينيَّة زادت ارتباكاً بعد ان صادق مجلس العموم في ٥ تشرين الثاني على القانون المعروف بالقفل ضدّ الرهبانيَّات فنطلب من الله ان لا يعاقب الدولة بسبب هذه السُنَّة الجائرة

وفي شهرت ١ وقع بين اسبانية ومراكش اتفاق على الامور التي تفصل الدولتين وتمّ الامر بهمّة وزير السلطان مولاي حفيظ وهو السيّد المقري (الذي يتخرج ابناه في كليّتنا منذ خمس سنوات) فرجاؤنا ان يكون هذا الوفاق مُجدياً. وقد اثنى الناس على اعتدال مولاي حفيظ فانهُ كاد يجعل الريف مستعمرةً اسبانية. امّا الدار البيضا. وبعض الامكنة الواقع فيها الخصام فقد تنازل عنها للفرنسويين

﴿ المانية ﴾ انّ المانية اليوم في أزمة اقتصاديّة وصناعيّة وماليّة وذلك ما يثير خواطر الشعب على الحكومة كما اثبت ذلك المسيو موساي (H. Moysset) في مقالاتهِ التي نشرها في مجلّة الكورسبندان. وقد بيّن في مقالتهِ الثالثة في شهرت٢ من السنة المنصرمة كيف هبطت المانية العظيمة مع عزّها ورونقها ووثاقة شرائعها الى حالة تُنذر اهلها بالويلات حتّى صار الشعب في حاجة الى اسباب المعاش الاشدّ ضرورةً كالخبز واللحم واخذ يتهدّد الدولة او تخفّف عن عاتقيهِ عبء الفقر. ولعلّك تسأل وما تُرى اين ذهبت الخمسة المليارات التي تقضتها المانية من فرنسة كغرامة الحرب السبعينيّة. نجيب انّ هذه القناطير المقنطرة قد صرفتها المانية في تعزيز جيشها وتنمية بحريّتها وتوسيع نطاق تجارتها وصناعتها حتّى زادت المصنوعات عن طالبيها كثيراً فازدحم الفلّاحون في المدن ودخلوا المعامل الصناعيّة فاهملوا فلاحة الارض وما لبثت ان قلّت الاغلال وقلّت المواشي وزادت بذلك اسعار المأكولات الضروريّة بحيث لم تعُد تكفي اجرة العَمَلة لابتياعها. وزاد الامر حرجاً بالنموّ المشكور لعدد سكّان المانية الذي بلغ في العام الماضي ٦٤ مليوناً وكان سنة ١٨٧٠ اربعين مليوناً بزيادة ٢٤ مليوناً فمن اين الخبز لكلّ هؤلاء. وانْ قلّ عددهم نوعاً لكثرة من يهاجر منهم الى البلاد الاجنبيّة والمستعمرات الخارجة. فلعمري انّ المانية اصبحت اشبه بامّ تميس باثوابها الفاخرة وقد جفّ ثدياها فلا تستطيع ان ترضع بنيها فيطلب الصغار قوتاً وليس من يجيب الى ملتمسهم. وبوسع الدولة ان تخفف وطأة هذا الداء العضال بأن تلغي الضرائب التي وضعتها على الغلّات والمواشي الواردة من الخارج لولا انها تخاف من عجز يصيب ماليّتها وهي في حاجة ماسّة الى المال لتبقى في مقامها بين الدول. فينتج من هذا بين اهل الفلاحة والصناعة وبين الشعب واصحاب الامر منافرات واحقاد لعلّها تؤول الى سوء المنقلب وتتهدّد عرش السلالة المالكة عينها. والدليل على ذلك اتّساع نطاق

الجمعيَّات الاشتراكيَّة ونهضتها للعمل يوماً بعد يوم ولذلك ترى الاشتراكيين في كل آن يطلبون الانتخاب العام الذي توجس منهُ خوفاً الدولة المالكة

وفي ٩ آذار تحزَّب ١٥,٠٠٠ رجل من الاشتراكيين فطلفوا شوارع برلين وهم يتغنَّون بلحن المرسلياز ويطالبون باصلاح الانتخابات. وفي ٢٧ آب تعصَّب منهم الالوف فناجزوا الشرطَ القتالَ فات قوم من الفريقين بسمع الامبراطور ومرآه من نوافذ قصره بل تعدَّدت المناوشات الدمويَّة حتَّى بلغ عددها سبع عشرة منذ ٢٧ ايلول الى ١٨ تشرين الاوَّل في برلين وغيرها. واذ نسب الامبراطور اصل حقوقهِ الملكيَّة الى الله في رسالةٍ وجَّه بها الى الرهبان البندكتيين في بورون (Beuron) احتجَّ عليهِ اهل الاشتراك والفوضى وقابلوا حقوقهم الالهيَّة بحقوقهِ وطلبوا من مجلس النوَّاب ان يناقش الوزراء في ذلك ليبلّغوا احتجاجهم الى القيصر

فترى ان احوال المانيـة الداخليَّة في اضطراب. امَّا سياستها الخارجيَّة فان الامبراطور في السنة المنصرمة زاد دولتي النمسة وتركيا مجاملة لتوثيق عُرى الوفاق بين بلادهِ وبلادهما. وقد شعر المسلمون في الشرق بتقرُّب المانية الى عنصرهم لاسيا بعد القرض العثماني الاخير حتَّى ان المسلمين في الهند والعجم اصبحوا يعتبرون الامبراطور الالماني كحامي الاسلام في العالم. على انَّ غليوم الثاني لا ينسى في ذلك صوالحهُ السياسيَّة ومنافع المانية الاقتصاديَّة

قد ثارت الخواطر آخرًا لسبب المفاوضات التي جرت بين الامبراطور وقيصر روسيَّة في پُتسدام عن دائرة نفوذهما في العجم وسكَّة الحديد البغداديَّة الَّا انَّ تصريحات البارون مارشل في الاستانة ولهجة المسيو پيشون في دار الندوة الفرنسويَّة وضعت حدًّا للاقاويل المقلقة

اما الكاثوليك الالمان فانهم عقدوا كمألوف عادتهم مؤتمرهم السنوي في اوسبُرغ في ٢٢ آب فأتى بالثمارِ المعتادة من اتحاد الكاثوليك وتعزيز قواهم في العمل

﴿ انكلترة ﴾ هي رصيفة المانية بل قرنُها والمتقدّمة عليها حتَّى الآن في النيابة البحريَّة والتجارة والصناعة والاستعمار. وفي العام الماضي قد جرت فيها امور ذات بال استوقفت كل الابصار. اخطرُها وفاة الملك ادورد السابع في ٦ أيار بعد تسع سنوات الملكِ. كان مولدهُ في ٩ تشرين الثاني سنة ١٨٤١ ثم اقترن بابنة ملك

الدنيمرك الكسندرة سنة ١٨٦٥ وضبط زمام الملك في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٩٠١ فكان لوفاتهِ رنّة حزنٍ عمّت اوربَّة كلها لما كان عليهِ من الخصال الفريدة والتضلُّع من السياسة التي جعلتهُ ضامناً لترقّي بلادهِ ولسلام الدول الاوربيَّة. وقد شكرهُ الكاثوليك على حسن التفاتهِ نحوهم وولائهِ لارباب دينهم وخصوصاً الكردينال ڤون (Vaughan) رئيس اساقفة وستمنستر واخيهِ اليسوعي الخطيب الشهير الاب برنردس ڤون. وبعد تتويجهِ كان اوَّل ملك منذ انفصال انكلترة زار رومية العظمى سنة ١٩٠٣ ودخل على قداسة الحبر الاعظم لاون الثالث عشر فطنطن لهذا الحادث عالم السياسة باجمعهِ. ولمَّا قُتل سنة ١٩٠٨ ملك البرتغال دون كرلوس حضر الملك ادورد في كنيسة لندن الكاثوليكيَّة قداساً اقيم لراحة نفس ابن خالتهِ ولم يبالِ بقال وقيل بعض المتطرفين من البروتستانت الذين زعموا انَّ اشتراكهُ في الدينيَّات مع الكاثوليك لَجدير بان يفقدهُ حقوق الملك. امَّا وفاتهُ فوقعت وقت حدوث امور خطيرة في بلادهِ كان يُرجى منهُ ان يحلّ عقدتها بدرايتهِ. واملنا موطَّد في خلفهِ وابنهِ الملك جورج الخامس الذي جعل يتقفّى آثار والدهِ وقد سبق لنا القول بانَّهُ اظهر رعاية نحو الكاثوليك بالحاحهِ في تحوير القسَم الملكي والغاء ما يتضمَّنهُ من التنديد بايمانهم وكانت حفلة دفن الملك في غاية الأُبهة والرونق في لندن وفي قصر وندسور. والحداد الرسمي يدوم في المملكة سنة كاملة تجري في اثرهِ حفلة التتويج

وها هوذا نظرٌ عام في احوال انكلترة السياسيَّة. كل يعلم ما حدث فيها من الازمة السياسيَّة لمَّا رفض مجلس الاعيان المصادقة على البرنامج الذي اتُّفق عليهِ مجلس العموم ما لم تُطلب مشورة الاهلين. وهذه اوَّل مرَّة تصدَّى الاعيان لمجلس الندوة في امر الماليَّة فرأى المبعوثون في هذا التعرُّض امرًا لا يُحتمل فجرى لذلك ما جرى من انتقاض المجلس وتجديد الانتخابات وفوز الاحرار الذين عند افتتاح جلسات الندوة طلبوا من الملك ان يكون مجلس المبعوثين مستقلًّا في تعيين الماليَّة بل حاولوا الغاء امتيازات الاعيان التي ورثوها منذ قديم الازمان وقد صادقوا في ٢٩ آذار و ١١ نيسان على قوانين جديدة تحصر سلطتهم في امر الماليَّة والسُّنن التي جرى فيها التصويت الثلث في مجلس العموم وفي طول مدَّة الانتخابات الى خمس سنوات. وكأنَّ الاعيان رأوا ما سيِّئة معارضتهم من العنف فصادقوا على البرنامج المسبِّب لهذه الضغائن سنة ١٩٠٩

ثمَّ وقع في اثناء ذلك موت الملك فعاد الحزبان الى منافراتهم بعد حفلات الدفن فعُقدت لجنة مؤلفة من مندوبي المجلسين جرت فيها المذاكرات والمفاوضات مباشرةً من ١٧ حزيران حتّى بلغ عددها ٢١ جلسة فلم تأتِ بنتيجة. وكانت حركات شتَّى في بعض انحاء المملكة تُقلق الافكار لاسيما اعتصابات بلاد الغال حيث لزم الشرط ان يدفعوا المعتصبين بالقوَّة والسلاح. ولم يجد مستر اسكيث رئيس مجلس الأمة حلًّا لهذا الخلاف الَّا باستشارة اهل الوطن وتجديد الانتخابات بعد الغاء مجلس الندوة في ٢٩ ت٢. والامور حتَّى الآن لم تصطلح الَّا ان الاحرار لم يزالوا ظافرين. امَّا استقلال ارلندة النوعي فالاحوال لا تسمح بالحكم فيه.

هذا ما يختصّ باحوال انكلترة الداخليَّة امَّا سياستها الخارجيَّة فقد وجَّهتها في العام الماضي الى تقوية الروابط التي تجمع بينها وبين روسيَّة وذلك خوفاً من النفوذ الالماني في الشرق ولا سيما في توكيًا حيث الالمان لا يزالون يتقدَّمون عليها. وما لا يُنكر ان الملايين من المسلمين الواقعين تحت حكم بريطانية في الهند ومصر قد اضحوا لها مشكلًا كبيرًا. فان الحزب المصري الوطني الذي اظهر شيئاً من نيَّاته العدائيَّة عند قتل الوزير الشريف بطرس باشا غالي قد بلغ صدى حركته حتَّى تخوم الهند وكانت ثوائر تلك البلاد قد ثارت سابقاً فلم تخمدها انكلترة الَّا بتضحية قوم من اعيانها. وذلك ما دفع الانكليز الى اتخاذ الاحتياطات الشديدة في مصر والمظنون انَّ لبعثة اللورد كتشنر الى مصر ومنها الى السودان ثمَّ اجتماعه في بورت سعيد مع اللورد منتو النائب الملكي في الهند علاقةً بالاحوال الحاضرة لتمكين السلطة الانكليزيَّة في بلاد الاحتلال

ولنا شاهد على سعي انكلترة في توطيد قواها بازاء مناوئيها ما تبادلتهُ قبل بضعة اشهر من عبارات الولاء مع الولايات المتحدة والعنصر السكسوني الاميركي وذلك في الوليمة التي دعت اليها انكلترة اميرال الاسطول المتجوّل في جهات اوربا فانَّ هذا القائد عميد دولته اعلن في النخب الذي شربهُ او انشد بانَّ كل سفن الولايات المتحدة بل كل الاميركيين دون استثناء مستعدُّون ان يضحُّوا النفس والنفيس في سبيل اخوتهم بوحدة الدم واللغة اذا قام يتهدَّدهم عدوٌّ ما. افليس في قوله اشارة الى الدولة التي تعتبرها اليوم انكلترة كخصمها الاعظم وان سكت الشارب عن اسمها؟

﴿ ايطالية ﴾ لم يحدث في ايطالية شيء يُذكر سوى ما يأتي: في ٢١ آذار استعفى وزيرها سونّينو فخلفهُ في ٣١ منهُ السنيور لوزاتي وقد غام نوعاً اديم سمائها بما جرى من الاهانة لسفيرها في الاستانة على يد احد ساقة العربات الجهّال فقام الايطاليون وقعدوا لدى بلوغهم الخبر رغماً عمّا ابداه من الاعتذار لدولة السفير وزراء الداخليّة والعدليّة والامور الخارجيّة. على انّ ايطالية بعد مدّةٍ رأت في الرضا والسكينة خيراً وهي في دائرة التحالف الثلاثيّ . وقد بقي بين الدولتين امران لم يحصل بعد فيهما اتّفاق اعني تدبير المستعمرين الايطاليين في طرابلس الغرب فانّ علاقاتهم مع الدولة العليّة لم تنتظم بعد على دعائم ثابتة. ومسألة الحديدة الجارية فيها المناقشة

ومن الامور التي تشغل اليوم خواطر الايطاليين صلاتُها مع النمسة فاذا انتقض حبل المحالفة الثلاثيّة التي ربط عُراها بسمرك بروابط غير وثيقة لا بُدَّ ان تنتصب بازاء الدولتين مسألة التخوم والقاطعات التي تطمع كلتاهما فيها اي البندقيّة وجنوبي تيرول فتنعقد بينهما شرر الشقاق. ولا غرو أن لا تصفو احداهما للآخرة رغماً عن تحالفهما فتنظر كل منهما شزراً لاختها كلّما حاولت تسليحاً او تحصيناً او زيادة في السفن الحربيّة فتتجدّد كل يوم المخابرات إزالةً للاوهام وحسماً لاسباب الرعب. فالى متى تدوم هذه الحالة الحرجة !

وفي العام الماضي عادت النكبات فدهمت ايطالية. منها الزلزال الذي حدث في ٧ حزيران في اقليتو فقتل ٣٠ شخصاً. ومنها في تشرين الاول داء الكوليرا الذي فشا في انحاء نابولي ورومية. ومنها ثوران بركان الوزوف الذي غطّت حُمَمُهُ بوادها جبات جزيرة اسكيا وكابري وشعر الاهلون في غضون ذلك بهزّات استطير لها قلوبهم وقُتل كثيرون من جرّائها

﴿ بلجكة ﴾ فقدت بلجكة بوفاة ليوبلد الثاني (في ١٧ ك١ ١٩٠٩) رجلاً هماماً عظيم الشأن سامي الافكار ذا عزم ونشاط ملتهب الحبّ لوطنه. وقد اتى من المشروعات الخطيرة ما يكذّب زعم القائلين بانّ الملوك الدستوريين لا نفوذ لهم ولا عمل وليسوا سوى ريشة تتلاعب بها اهواء مجالس الامّة. فانّ ليوبلد الثاني كمعاصره ادورد السابع حقيق بأن يُنظم بين رجال عصره المعدودين ولعلّهُ دُعي

بانكبير لو عاش في وقت آخر. وليس كلامنا هنا عن عيشتهِ الاهليَّة التي كانت مدَّةً عثرة لرعاياه لولا انَّ زواجهُ الاخير قوَّم عوَجهُ وأصلح خللهُ قبل وفاتهِ واستعدَّ للموت استعداد المسيحيّ المُنيب. وانما نتكلم عن اعمالهِ كملكٍ وسياسيّ فانهُ منذ تولَّى الامر سنة ١٨٦٥ لم يزل يجري في تدبيرهِ على خطَّة تشهد له بطول الباع في الامور السياسيَّة والاقتصاديَّة والاستعماريَّة والعسكريَّة فانَّهُ نهض ببدوتهِ الى مقامٍ رفيع وعزَّزها بالصنائع واورثها كل اسباب التقدُّم في الداخل والخارج لاسيا باستثمارهِ للمستعمرات الافريقيَّة وباصلاحهِ للنظام العسكري فهذان خصوصاً عملاه اللذان ضحَّى لاجلهما حياتهُ ونجح فيهما نجاحاً تامًّا لاسيا الكونغو البلجكيّ الذي لاجلهِ قاوم كل المعاكسات حتَّى انهُ لم يخف مقاومة انكلترة نفسها ليضمَّها الى مملكتهِ فظفر بالمرام. امَّا المسائل الخاصَّة الدينيَّة والسياسيَّة التي كانت تقسم احزاب المجلس فانَّ الملك ليوبلد كان اخذ على نفسهِ الحياد فيها لئلَّا يثير بتداخلهِ الاهواء. ولعلَّهُ فعل ذلك لعلمهِ بان الحزب الكاثوليكي هو الفائز فلا يحتاج الى من يزيدهُ قوَّةً

وقد خلف ليوبلد ابنُ اخيهِ الملك البار المولود في سنة ١٨٧٥. وقد دخل العاصمة بكل رونق واحتفال في ٢٣ ك ١ من السنة ١٩٠٩. ولمَّا اقسم في ٥ شباط الحلف المألوف لحفظ الحقوق الدستوريَّة فاه بخطاب جميل اثَّر في قلوب الكل فزادهم املًا في حسن تصرُّفهِ. وكان اوَّل سفر باشرهُ مع الملك ان رحل الى فرنسة

اما احوال السياسة في بلجكة فحسنة بفضل الاغلبيَّة الكاثوليكيَّة في المجلس على انَّ الاحزاب المضادَّة للكاثوليك سعت في مناهضتهم وتقسيمهم فلم يفوزوا. وعدد المندوبين منهم بعد تجديد الانتخابات في ٢٢ أيار يبلغ ٨٦ يقومون في وجه ٤٦ من الاحرار و٣٣ من الاشتراكيين و١ ديموقراطيّ فيزيدون على مجموعهم بستَّة وكانوا سابقاً ٨ وكاد ان يحصل انقسام بينهم لولا أنهم عرفوا انَّ الغلبة بالوفاق والاتحاد. ومن فضلهم أنَّهم تصدُّوا في اواسط شباط لمشروع الطالبين نفي الدين من المدارس فاثبتوا المدارس المذهبيَّة

وقد وافق جلوس الملك الجديد افتتاح معرض بروكسل الدوليّ في ٢٣ نيسان فكان من ابدع المعارض التي أُنشئت حتَّى الآن. وقد بلغ عدد الزُوَّار في بعض الأيَّام ١٠٠٠٠٠ شخص ولعلَّ هذا العدد تضاعف يوماً وكان من زُوَّارهِ ملك الالمانية وقرينتهُ

الّا ان النار لعبت في هذا المعرض غير مرّة وبالخصوص في ١٤ آب حيث اندلع لسان اللهيب فالتهم قسماً من المعروضات الاجنبيّة ولاسيا الانكليزيّة. ولحسن الحظ كانت المعروضات مؤمّنة واكثرها ليس بالطُّرَف الاصليّة بل تقليدها. امّا اهل المعرض فانّهم اصلحوا بكلّ سرعة ما اتلفتهُ النار واظهروا ما طُبعت عليهِ همّتهم القعساء. ومن المقرَّر انّ بلجكة اليوم تُعدّ اوّل دولة اقتصاديّة في العالم بالنسبة الى المساحات وعدد السكّان. وهي الخامسة بينها مطلقاً

﴿ هولندة ﴾ التي يمثّلها بيننا جناب قنصلها المسيو هورتس من رجالها الافاضل واحد المغرمين بالآثار الشرقيّة تسعى كشقيقتها بلجكة في توطيد استقلالها وقد ارادت في هذه المدّات الاخيرة ان تحصّن مرفأها « فلاسنغ » في زيلندة تحصيناً حربيًّا فلم تنظر انكلترة الى فعلها بعين الرضى خوفاً من تقرُّب هولندة الى التحالف الثلاثيّ لكنّها ما لبثت ان غضّت نظرها بعد الايضاحات التي قدَّمتها لها هولندة

شبه جزيرة البلقان والدول البلقانيّة

نضمّ هنا الافادات المنوطة بشبه جزيرة البلقان التي اضحت اليوم نقطة مركزيّة تدور حولها سياسة الدول بل قل انّها ربقة اخذت بخناقها والله يعلم متى تنفرج عنها وقد سبق لنا ذكر سياستها العامّة فبقي تفصيل احوالها دولة دولة مباشرة باعظمها اي الدولة العليّة

﴿ تركيا ﴾ هي مملكة واسعة الارجاء ايقظها الدستور من سِنتها فانتبهت الى حالها لكنّها وجدت عند يقظتها ما يُحدق بها من المشاكل المتعدّدة لبعد ولاياتها غير المتلاحمة ووفرة عناصرها المتباينة واختلاف حاجات بلادها وتعدُّد لغاتها واديانها. فان لحظتَ تخوم تركيا من جهات البشناق والهرسك الى مرفأ مسقط ثم من حدود تونس الى سواحل اليانية ظننتها رقعة شطرنج بما عليها من الامم والقبائل التي تترقّى في سلّم التاريخ الى مهد البشريّة. فليت شعري من يقوى على توحيد كل هذه الألفاف والاحزاب المختلفة ؟ لا بل كيف يمكن توحيد ولاية منها على مبادئ الحريّة والاخاء والمساواة مع ما فيها من التقسّم والتحزُّب وتفرُّق الكلمة!

وما لنا نطلب الشاهد على قولنا بعيداً ! ماذا اكتسبت بيروت منذ اعلان

الدستور من القوّة والتعاون والتعاضد في سبيل الخير العام ؟. كنّا ثملنا من المناداة بالحريّة والاخاء والمساواة حتّى اذا جاءت ساعة العمل رأينا انفسنا كالمستيقظ من منام يذكر بتأسّف ما رآه من ضغوث الاحلام . لمّا قسمت بلهجتنا الى قسمين أمّلنا منهما خيراً وها قد عدنا الى البلديّة الوحيدة ولم نرَ شيئاً من الاصلاحات المأمولة. وقس عليهِ بقيّة المشروعات التي بقيت حبراً على ورق بل كلاماً تتطاير بهِ الهواء. فمن لنا برجال عزيمة ونزاهة ينبذون النزعات الخاصّة والاغراض الشخصيّة فيضحّون نفوسهم للخير العام ولمنفعة الوطن. وقد بلغنا انهُ عُقدت جمعيّة جعلت هذه الامنيّة كنايتها واخذت تسعى في تأليف القلوب للدفاع عن المصالح الوطنيّة دون التفات الى طوائف الاهلين واديانهم. فيا ليت هذه الجمعيّة تقوى حتى تشمل قريباً كل انحاء المدينة وتجعل اصحابها يداً واحدة في ترقية الشؤون العموميّة المادّية والادبيّة. وما تتمنّاهُ لبيروت نتوق اليهِ بالاحرى للدولة جمعاء ان تريد امورها انتظاماً فتتوفّر ماليّتها وتتعزّز قوّتها وتتضافر عناصرها في توطيد سلطتها واسعاف اربابا رها في تحقيق امانيهم

ودونك اخصّ ماجريات السنة المنصرمة. انتهت السنة ١٩٠٩ المنصرمة باستعفاء رئيس الوزارة حلمي باشا (في ٢٩ ك ١) لعدم اتفاقه مع جمعيّة الاتحاد والترقي. فعُهد الى حقّي باشا عَقد وزارة أخرى فتمّ الامر في ١٢ ك ٢ ١٩١٠ وتشكّلت الوزارة على الصورة المعروفة: طلعت بك للخارجيّة. وجاويد بك للماليّة. ومحمود شوكت للحربيّة الخ: وكانت مصادرات البضاعة اليونانيّة في انحاء ذلك تُلحق باليونان خسائر جسيمة في انحاء الدولة حتى استدعت احتجاج سفير اليونان غريباريس (Gryparis) ثم رئيس الوزارة ڤنيزيلوس (Venizelos) وقد دامت مدّة طويلة الى ان خفّت في هذه الآونة الاخيرة لمّا رأت الدولة العليّة بانّ سياسة ڤنيزيلوس ودّيّة حبيّة وانّ نيّاتهِ سلميّة لا يريد حرباً بين الدولتين فانقشعت السحابة المعكّرة صفاء الولاء بينهما. وهذه النتيجة الحسنة الدالّة على حكمة ڤنيزيلوس قد اكسبتهُ ثقة مواطنيهِ والدول المجاورة وقد ساعدهُ عليها غريباريس الذي دُعي في ٢٠ ت ١ من منصب السفارة الى وزارة الخارجيّة في اثينة والشائع الآن انهُ سيرجع الى مركزهِ في الاستانة

ومن الامور التي وجّهت اليها الدولة العليّة عنايتها في الخارج توثيق

الوئام بينها وبين دولتَي المانية والنمسة بناءً على سياسة عبد الحميد السابقة مع ما تبع ذلك من تنظيم الجيش التركي على يد الجنرال «فون در غلتز» ثم المساعدات التجاريّة والصناعيّة من قبل المانية وبيعها للدولة بارجتين من بوارجها ثم اتفاقها مع روسيّة والمانية في تخوم العجم. واخيرًا القرض الالماني بعد حبوطه في فرنسة فكلّ ذلك زاد عروة الوفاق ارتباطًا

وكذلك لحظ الرأي العام تقرُّب تركيا من جارتها رومانية حتى ظنّ بعضهم انّ بين الدولتين معاهدة سريّة لكنّ الامر محصور بعهدة تجاريّة فقط كما انبأت الاخبار الرسميّة وعلى كلّ حال شعرت بلغارية بحرج مقامها بين مملكتين قويّتين فاخذت تسعى بالانضمام الى سربيا والى الجبل الاسود ثمّ اليونان. ومن المعلوم المقرَّر انّ اليونان والبلغار يطلبون اليوم وسيلة للائتلاف السياسيّ والمذهبيّ فيما بينهم. وقد اشار اكسرخوس البلغار الى بطريرك الفنار بانهُ يرضى بالعود تحت حكمهِ وكذلك المبعوثون البلغار واليونان في مجلس الاستانة يفرغون جهدهم في ضمّ شتاتهم وتوحيد كلمتهم للمطالبة من حقوقهم

غير انّ ارباب السياسة يودُّون ما هو افضل من ذلك فيرغبون في جمع كلّ الدول البلقانيّة في محالفة عامّة وفنيزيلوس يرمي الى هذه الغاية بسياستهِ. والامر لا يخلو من المشاكل العديدة

ومن الحوادث التي لهجت فيها ألسنة الجرائد في السنة المنقضية ابتعاد تركيا عن صديقتيها القديمتين فرنسة وانكلترة. وقد علّل ذلك اوّلًا نظر تركيا الى بريطانية العظمى وامتداد سيطرتها على الهند ومصر حيث العنصر الاسلاميّ قويّ يبتغي التحرُّر من حوزتها ولاسيما في قطر النيل. وعلّلهُ ايضًا اسنياء انكلترة وروسيّة لجمع قوى تركيا على تخوم العجم وبالعكس استياء تركيا من احتلال الانكليز في انحاء من مرافئ خليج العجم. وزد على ذلك ما حدث بين فرنسة وتركيا من المفاوضات بسبب التونسيين والجزائريين المقيمين في الدولة العليّة فتُبودلت بين الدولتين المذاكرات لوقوع حوادث شتَّى في بيروت وازمير ودمشق. وكذلك تعدّي الجنود التركيّة على حدود تونس ثمّ اخرًا وخصوصًا رفضُ فرنسة للقرض التركيّ في ٢٣ ت ١ بعد امتناع تركيا عن القبول بالشروط التي طلبتها فرنسة. فكلّ ذلك قد أرخى

روابط الحب بين تركيّا والدولتين اللتين ساعدتاها على فكّ اغلال الاستبداد الحميدي والظفر بالحكم الدستوري. وقد بلغ الجهل ببعض الكتبة الى أن تعدّوا كل حدود العدل حتّى انّ جريدة الرأي العام البيروتيّة تجاوزت في كلامها طور الادب واستحقّت ان يجري في صاحبها الحكم لمقالاتهِ المهينة. والحمد لله قد اقرّ كثيرون من اهل تركيّا الفتاة باعتدال فرنسة في مطاليبها ونسبوا الى طياشة بعض الاغرار ما كتبوه في حقّها. وممّا اتّفقت عليهِ نهائيًّا الدولتان مسألة الجزائريّين فانّ تركيّا تعترف بهم منذ الآن فصاعدًا كعثمانيين اذا استوطنوا الممالك العليّة وكفرنسويين اذا كانوا ابناء سبيل. امّا مسألة التونسيين فانّ تركيّا لم ترضَ ان تعترف بجنسيّتهم الفرنسويّة وتأبى قبول معاهدة بردو (Bardo) بين فرنسة والباي محمّد صادق

هـذا في الخارج امّا الامور الداخليّة فممّا يستحقّ ذكرًا ما جرى من التنافر بين شوكت باشا وجاويد بك بخصوص حسابات الوزارة الحربيّة فكان جاويد يطالب بها ليضبط برنامجهُ السنوي فرفضها شوكت باشا وكاد الامر يتفاقم لولا توسّط العقلاء.

ثمّ وقعت حوادث الكرك بعد نهاية الحرب الحورانيّة اذ اجتمعت بعض قبائل العرب مع قوم من الدروز كما يزعمون فهجموا على محطّتي سكّة الحجاز في قطرانة ثمّ في الكرك وقتلوا عمّالًا وبعض الأهلين من النصارى ونهبوا غيرهم وحاصروا جهات راشيًا وحاصبيا وكاد الفساد يستشري لولا انّ سامي باشا بادر الى تلك الجهات واتّته المدد فبدّد شمل الثائرين واقتصّ من زعمائهم وردّ السلام لتلك الانحاء. ولا حاجة الى تفاصيل هذه البعثة وكلّ يذكر ما كتبتهُ جريدة البشير في ذلك . وبعد الحرب الدرزيّة أرسل كثيرون من الدروز لينضمّوا الى العساكر الرابطة في ازمير ومقدونية لتختلط بذلك عناصر الدولة

وان سألت ما الخبر الصحيح عن امور البانية ومقدونية. اجبنا انّ الفتن فيها لم تخمد بعد. وقد سبّب تجريد الاهلين من اسلحتهم شكايات واشغابًا شتّى. وقد اعلن آخرًا حقّي بك في مجلس النوّاب بانّ اعظم اسباب الحركات الجارية بين الالبانيين انّما هو سوء تصرّف امرائها (البكوات) واستبدادهم وانّهُ لا بدّ من اقامة عمّال منظّمين بدلًا منهم .

وكذلك قد اشتدَّ الكفاح بين الحكومة التركيَّة وبطريركيَّة الفنار حتَّى كاد يفضي الى قطع الصلات لكنَّ البطريرك المسكونيَّ ادرك ما يلحق بأُمَّتهِ من سوء المصير اذا اصرَّ على مطاليبهِ فتلطَّف واذعن للدولة. والظاهر انَّ الحكومة العثمانيَّة تبتغي اليوم ان تؤلّف قلوب البلغار واليونان وتجمع بين الأكسرخس والبطريرك يواكيم ليستتبَّ السلام بين العنصرين المتعاديين. وهذا الوفاق سوف يُبنى على مادَّتين الاولى بان تُعطى الكنائس والاوقاف في كل رعيَّة للذين هم اوفر عدداً فيها من يونان او بلغار. والثانية ان اكسرخس البلغار يعترف برئاسة بطركيَّة الفنار الدينيَّة ويبقى مستقلًّا في تدبير ملَّتهِ. وقد جاءت زيارة النظَّار ورئيس مجلس المبعوثين للبطريرك بمناسبة عيد الغطاس دليلًا ساطعاً على الرغبة العامَّة في الولاء والمسالمة

وهل يا تُرى فازت الدولة العليَّة بما كانت تؤمّلهُ من الترقّي الاداري؟ انَّ الجواب على هذا السؤال متوقف خصوصاً على مسألة الماليَّة. وكلٌّ يعلم ان ماليَّة تركيَّا ليست على وفق المرام حتَّى انهُ يُخشى من ان تُصاب بازمة قريبة. فانَّ الدولة العثمانيَّة ترى انَّ رفعة شأنها لا تقوم الَّا بتقوية عسكريتها وبحريتها لتكون في عداد الدول الكبرى ومن المعلوم انَّ العسكريَّة والبحريَّة تقتضيان المبالغ الطائلة فترى برنامجها في ازدياد وبهما يزداد عجز الماليَّة وثقل الدَّين العمومي وربَّما حاول ارباب الامر سدَّ هذا العجز بخفض اجور العمَّال ورواتب اهل المناصب وهو اقتصاد يثير الشحناء ويدفع العمَّال على بيع ذمَّتهم بالرشوة. وليس القرض دواء. فانَّ القرض الالمانيَّ الاخير اخسر تركيَّا مبلغ ٤٠٠,٠٠٠ ليرة عثمانيَّة ولذلك تريد الحكومة ان تعود الى القرض الافرنسي فتستدين على شروط اخفَّ عبئاً

ويا تُرى اليس دواء آخر لداء تركيَّة؟ ألا يمكنها ان تجد موارد أُخرى لتوفير ماليَّتها؟ بلا شكٍّ فانَّ غنى الدولة العليَّة في اراضيها المخصبة سواء كانت في جهة اوربة او في جهة آسية فلو استثمرتها الدولة لأضحت لها كنزًا لا ينفد. ومن هذا القبيل المشروع الذي يسعى بتحقيقهِ الدكتور نجيب بك الاصفر فقام بعض الجهَّال بما كتهِ ودعوهُ هزلًا بالخطر الاصفر. نعم انَّ في هذا المشروع لخطرًا ولكنَّ الخطر ليس هو على الدولة العليَّة بل على اعدائها الذين يريدون ان يصرفوا نظرها عن ثروتها الاكيدة التي تكسبها عزًّا وقوَّة اذا ما بوشر باستثمار تلك البوادي التي

تخاصمت عليها اكبر دول العالم لخصبها

وان شاء احد شاهداً على قولنا ضربنا له مثل فرنسة التي لا تزال اغنى الممالك لغنى تربتها مع قلّة عدد سكّانها بالنسبة الى المانية فانّ التربة الفرنسويّة تغني صاحبها وتصدّهُ عن المهاجرة الى البلاد الاجنبيّة. فلو اقتفت تركيا بفرنسة توفّرت ماليّتها واثرت شركاتها واتّسعت دائرة اعمالها فربح منها الفلّاح وتعزّزت التجارة وعمّت اسباب التمدّن والهناء بعد سنين قليلة. فغاية ما نتمنّى أن يدرك عقلاء الدولة الفوائد الناجمة عن هذا المشروع ويؤيدوه غاية امكانهم لخير تركيا وصلاحها الاعظم ويناهضوا من يتصدّى له جهلًا او عداء

هذا ولا ننسى ما حازته الدولة العليّة من الفخر بالتمرينات التي قامت بها جيوشها في ولاية ادرنة في فصل الخريف ورحلة جلالة السلطان محمد الخامس ليزور عاصمة اجداده. على انّ الوطنيين اسفوا لفشوّ الكوليرا بين العسكر وفي الاستانة بعد تلك المآثر الجليلة

وقد تمّ افتتاح المجلس منذ شهرين. والظاهر ان مجلس الاعيان معوّل على العمل بعد جموده السابق. ففي ٩ من شهر ك ٢ خطب حقّي باشا خطاباً دام خمس ساعات وافتتح كلامهُ بقوله انّ الحكومة لا تقبل ان يتولّى تدبيرها آل جمعيّة الاتحاد والترقي. ثم حدثت في الجلسات التالية حوادث مكدّرة من تهديد وسبّ وشتم وافشاء طرائق التنكيل بالسجناء الالبان والبلغار والرجميين ما سبّب التنافر وانذر بقرب سقوط الوزارة

﴿ بلغارية ﴾ جرت في مطاوي السنة عدّة مناوشات بين جيوشها والجنود العثمانية في حدود الدولتين وقد ظهر انّ الامور انقلبت نوعاً فآلت الى الهدوّ. وكذلك بيّنّا تقرّب بلغارية من الدول البلقانية واليونان— وممّا يُذكر تغيير وزير الخارجيّة في بلغارية فكان سابقاً بابريكوف الذي اضحى آلةً في يد الملك فرديننـد فيستعين بهِ لتنفيذ سياستهِ وهو داهية السياسة. فمنذ اشهر قام بدلًا منهُ مالنكوف الذي لم يشأ ان ينقاد لخواطر سيّدهِ فعلّل ذلك بينهما نفوراً

﴿ الجبل الاسود ﴾ في ٢٨ اب رُقّي حكمهُ الى ملوكية برضى الدول

﴿ البرتغال ﴾ اوقفنا القرّاء على حقيقة الحال في ما جرى فيها من الانقلاب

الاخير. لكنَّ الاخبار التي وردت بعد مقالتنا (في المشرق ١٣ : ٨٨١) كشفت كلَّ دسائس اهل الثورة البرتغالية كشفاً فضح الماسونيَّة وجلبها العار. فانَّ جريدة الغولوا (le Gaulois) الشهيرة ارسلت على نفقتها الى لشبونة مراسلين يطَّلعون على حقيقة الاحوال فقاموا بمهنتهم احسن قيام وبيَّنوا بالبراهين الجليَّة انَّ هذه الثورة هي عمل الشيع الماسونية وحدها فهي التي حبلت بها وهي التي اولدتها ولم تزل تحضنها حتى سلَّطتها على الدولة الشرعية. ومن نتائج تفتيشهم ان الملك مانويل تصرَّف في كل وقت الثورة تصرُّف الابطال ولم يدع وسيلةً الَّا توسَّل بها لكبح جماح الثائرين لولا انَّ كثيرين من قوَّادهِ وضبَّاطهِ وحاشيتهِ المنتمين الى الماسونيَّة خانوهُ اقبح خيانة. ولم يشأ ان يبحر الَّا ايبر الى بورتو ليقود الفرق العسكريَّة لمحاربة الشاغبين لكنَّ القبطان الماسونيَّ اعتبرهُ كأسير ونقلهُ الى جبل طارق فاشاعوا كذباً انهُ هرب

وقد ايَّدت كل ذلك جريدة «ماتين» المعروفة بآرائها الحرَّة فنشرت في تاريخ ١٢ ك ٢ من السنة الحالية رسالة من مراسلها في لشبونة يصرِّح فيها بان جمعيَّة الفحَّامين (اي الماسون) منذ عشر سنوات تُعدّ هذه الثورة في محافلها السرّيَّة وانَّ زعماءها الماسون كانوا تقسَّموا كل مناصب الجمهوريَّة بينما كانت الجنود المتحزّبة تُقاتل في شوارع لشبونة فلمَّا جاء الضبَّاط وطلبوا حصَّتهم من الوظائف وجدوها في ايدي رؤساء الشيعة الذين اخذوا يتصرَّفون بالامر كسادة البلاد وباشروا بمعاداة الدين والرهبانيَّات ولذلك لم ترضَ جمهوريَّة الولايات المتحدة ان تعترف بالحكومة الجديدة

﴿ روسيَّة ﴾ اعلنت للعجم انَّها لا تستطيع ان تستدعي جنودها ما دام مواطنوها في خطرٍ ومصالحها غير مؤمَّنة — في ١٠ حزيران صادق نوَّاب الدوما على الغاء استقلال فنلندة. وفيهِ ثالت ايضاً الحكومة الاغلبية لتعمير سفن حربيَّة جديدة لاسطول بحر البلطيك. وهذه البوارج اربع سفن من شكل دريدنغس (Dread-noughts) التي يبلغ محمولها ٢٣,٠٠٠ طن طولها ١٨٠ متراً وهي تقطع في الساعة ٢٣ عقدة وقوَّة آلتها البخاريَّة تساوي ٤٢,٠٠٠ فرس وهي مجهَّزة باثني عشر مدفعاً من عيار ٣٠٥ ملمتر وبستَّة عشر عيارها ١٢٠ م م. هذا الى ١١ دارعة ونحو مئة نسَّافة و٢٨ غوَّاصة كان يتألَّف منها اسطول البلطيك. ولروسية ما عدا ذلك اسطول ثانٍ في البحر الاسود لا تسمح المعاهدات بروده في بوغاز الدردنيل

ومن الامور الحريَّة بالذكر وفاة الكاتب الروسي الشهير تولستوي في ١٩ ت ٢ مات فجأةً في احدى محطَّات السكَّة الحديديَّة بينما كان هارباً من وجه ذويهِ وكان عمرهُ يربي على الثمانين. مات وهو تحت طائلة حرم السينودس الكنسي لكنَّ الصوت العام يعتبرهُ كاحد كتَّاب روسيَّة المبرّزين ومشاهير رجالها . ولا يسمح لنا ضيق المجال بان نتسع هنا في وصفهِ وايراد ترجمتهِ وتعريف كتاباتهِ الاجتماعيَّة للدفاع عن العملة وانَّا نُبدي الاسف على عبثهِ بالمعتقدات الدينيَّة كوجود الخالق والوحي فنفخ في قلوب ذوي البأساء روح التعطيل والالحاد

﴿ فرنسة ﴾ انَّ الشاغل الذي تهتمُّ لهُ الافكار ميزانيتها التي لا تزال تزيد كل سنة وهي تبلغ للسنة الحاضرة اربعة مليارات و٣٠٤,٨١٠,٨٢٩ فرنكاً اعني بزيادة نحو ١٥٠ مليوناً على العام الماضي وهذه المبالغ سوف تزيد على ما يُرجَّح في العام المقبل . أليس هذا يا ترى عقاباً على ما استلبتهُ الحكومة ظلماً من اموال الرهبان وعلى ما تنفقهُ جزافاً لمحاربة الكثلكة بانشائها المدارس اللادينيَّة والمشروعات العلمانيَّة لتربية الشبان على المبادئ الحرَّة اي الكفريَّة

وقد لحق بعاصمتها باريس عقاب آخر ذلَّل نخوتها وضرب ماليَّتها زيد فيضان نهرها « السين » في اواخر كانون الثاني وهو يتهدَّدها ثانية في هذا العام . وممَّا تكدَّرت لهُ الخواطر انَّ الدراهم التي ارسلها اهل الكرم من كلّ البلاد (ومنها ٣٠,٠٠٠ فرنك جاد بها الحبر الاعظم) لمساعدة المنكوبين تضعضع اكثرها في ايدي ذوي المطامع

وأُصيبت بعد ذلك فرنسة بنوائب أُخرى ظهرت فيها يَدُ الربّ الذي ضربها ليؤدّبها لعلَّها ترعوي الى الصلاح والاعتدال . فتوالت فيها الرزايا والحوارب بغرق الباخرة شانوي في ١٠ شباط شمالي جزيرة مينوركة ثمَّ الغوَّاصة بلوفيوز (٢ نيسان) وبفاجعة سكَّة الحديد الهائلة (٣ ايلول) وباعتصابات عملة السكك (١٠ — ١٣ ت ١) التي كادت تعرّض البلاد لاعظم الاخطار فسقطت الوزارة ثمَّ تنظَّمت مشوَّهةً بتنصيب لافار (Lafferre) صاحب السعايات السريَّة بالضبَّاط . وكذلك اكتُشفت سرقات دويز (Duez) وتصرُّفهُ مع اصحابهِ من ذوي المراتب العليا باموال الرهبان فأُوقف في ٨ آذار . وظهرت ايضاً مضاربات روشات (Rochette) واختلاساتهُ مع

ما لحق من عارها بالوزير السابق كليمانسو (ايلول) — وكذلك ألمّت بالجنود الفرنسويّة في مستعمراتها ملمّات شتّى في مرّاكش ومستعمرة ودّاي المجاورة لدارفور. ففي مرّاكش هجمت القبائل على الحملة الفرنسويّة مرّتين ولم تُرَدّ غاراتها الّا بفقد عدد من الجند في شهري حزيران وتمّوز اما ودّاي فقد حدث فيها معركة دمويّة بين الفرنسويين واهل بلادها. والمظنون انّ هناك يدًا خفيّة تثير فيها تعصّب الاهلين ومن ثمّ طلبت فرنسة من انكلترة ان تُحدّد نهائيًا تخوم البلدين

وان اضفتَ الى ما سبق فقد فرنسة لبعض اعيانها المعدودين كالكنت دي ڤوكوي (Vte E. Melch. de Vogüé) في ٢٤ آذار والبرنس فرديناند دي اورليان والدوق دي ألنسون في ٢٩ حزيران والبار ڤندال (A. Vandal) المؤرخ الشهير في ٣٠ آب والاب الدومينكاني الشهير اوليڤية (Ollivier) في ٢٠ ايلول رأيت انّ العام الاخير كان كثير النكبات اكبّ على فرنسة ببوائقهِ المجحفة وكأنّ حزب الاشرار أبى ان ينيب فهو لا يزال يناهض الدين ويقاوم إله السماء. فجمع الماسون مؤتمر التعليم اللاديني في تودكوان في ١٩ ايلول وخطب الوزير دومرك لتعزيز المبادئ الكفريّة. ولمّا رأوا بسالة اساقفة فرنسة في نبذ تعاليمهم دعوهم للمحاكمة فوجدوهم اصمّ من الصخر حتّى هنّأهم عن حماستهم اخوانهم اساقفة اسبانية وغيرها

وممّا طربت لهُ القلوب اليوبيل الذي أُقيم في كلرمون في ٢٥ اذار وهو يوبيل عظيم لا يقع الّا نادرًا عند موافقة ذلك اليوم لجمعة الآلام وهكذا كان في السنة المنصرمة. وقد جَرَى من الحفلات في هذا النهار ما اوهم الزوّار انّ فرنسة كلّها تطايرت الى معبد السيّدة (N-D. du Puy) حيث تُكرَّم صورة قديمة للعذراء الطاهرة وهناك تمثال البتول الذي صُبّ من المدافع المكتسبة في حرب سيباستوبول علوهُ سبعة عشر مترًا ما خلا القائمة التي هو منصوب فوقها

وقد سُرّت هنا النزالة الفرنسويّة بتعيين قنصلين فاضلين لفرنسة قنصل بيروت العام جناب المسيو كوجه (Couget) وقنصل دمشق المسيو پيات (Pyat) كما سُرّت ببقاء جناب المسيو رستلهوبر (Ristelhueber) في وظيفتهِ

﴿ النمسة ﴾ هذه الدولة تصافح جارتها الالمانية وتجري في سَنَنها. لكنّها تخاف من ايطالية وتستعدّ لها بمعاونها البحريّة — وفي ٢١ شباط أعلن الدستورَ في

البشناق والهرسك. وتألّف لها مجلس فيهِ ٨٨ من النوّاب منهم ٣٦ اورثذكس و٢٩ مسلمون و٢١ كاثوليك واسرائيليّان — وفي ١٨ آب بلغ الامبراطور فرنسوا جوزف السنة ٨٠ من عمرهِ فزارهُ القيصر وشرب نخبهُ — وفي ٩ ايلول افتتح الكاثوليك موتمرهم الوطني في انسبروك من اعمال تيرول — وقد نُجعت النمسة بوفاة كبير رجالها السياسيين الكاثوليكي الهمام لوغر (Karl Lueger) فأُقيمت لدفنهِ حفلة قلّما يجري مثلها للملوك. وحضر الصلاة على نفسهِ جلالة الامبراطور وحاشيتهُ وسفراء الدول والوزراء والاعيان. وقد ابقى المذكور اسماً مخلّداً بتحريرهِ لبلادهِ من العنصر السامي (الاسرائيلي) وتحرير العملة من ظلم معنتيهم. ولمّا تولّى رئاسة بلديّة فيّنة رقّى العاصمة ترقية يشكرها لهُ كل اهلها على اختلاف طبقاتهم واديانهم

﴿ اليونان ﴾ كان الانقسام بين الاحزاب منذ سنتين اضعف الدولة الى حدّ كاد يذهب بحياتها بل كاد يقلب السلطة المالكة حتى دُعي الى رئاسة الوزارة ڤنيزيلوس في اواسط تشرين الاوّل وكانت اوائل وزارتهِ صعبة فلم يُعلَم أيقوم باعباء الامر بل قدَّم استعفاءهُ للملك جورج فلم يقبلها. الّا انهُ بحكمتهِ واعتدالهِ منذ مدّة قريبة قد كسب ثقة وطنهِ وابى ان يواصل دفاعهُ عن كريت كما فعل سابقاً لئلّا يطوّح اليونان في مشاكل جديدة. امّا اخبار كريت فتضاربة لا تُعرف حقيقتها

﴿ ايران ﴾ كلّ يعلم ما يُحدق بهذه الدولة من الاخطار اذ يملك عليها شاه لا يزال ولدًا ففي داخليّتها الاحزاب وتناوُب الوزراء في الامر وعلى ثغورها ثلث دول قائمة على اهبة الحرب صوناً لحقوقها ودفاعاً عن مواطنيها. وقد احتلّت الجنود الانكليزيّة ميناء لنجا بازاء جزائر البحرين فكان احتلالها داعياً لمفاوضات شتى سبقت الاشارة اليها واظهرت تقرُّب روسيّة الى انكلترة

﴿ الصين ﴾ خرجت من جمودها القديم وهي تتأهّب للحكم الدستوري الذي كان موعدهُ للسنة ١٩١٦ لكنّ اهلها طلبوا تقريب هذا العهد الى السنة ١٩١٣ واخذوا يستعدّون لذلك فعقدوا شبه دار الندوة واستدعوا الامبراطور وخطبوا الخطب الحرّة لكنّ هذه النهضة تتهدّد الاجانب كما تتهدّد الملكيّة المطلقة — وقد شعرت الولايات المتحدة ان مصالحها تستدعي تقرّباً من الصين فسعت بالامر سعياً حثيثاً وقد امكنها آخرًا ان تربط تلك الدولة بقرض قدرهُ ٠٥٠٠٠,٠٠٠,

دولار (اي ٢٥٠ مليون فرنك)

﴿ اليابان ﴾ احتلّت كوريا احتلالاً نهائياً. وممّا كدّر صفاء سلامها مكيدة على حياة ملكها الميكادو وانّما الدسيسة قد انكشفت وحُكم بالاعدام على لاحمي سداها — امّا الازمة المالية وسدّ الخلل في تجهيز البلاد بالقلّات فاسران لم تتوفق الدولة بعد الى اصلاحها

﴿ افريقية ﴾ ذكرنا في ما مرّ كثيراً من امور بلادها المختلفة. ونزيد على ما سبق انّ مصر اصبحت قذًى في عين انكلترة منذ رأى الانكليز استفحال الحركة الوطنيّة ولاسيا بعد قتل الوزير بطرس باشا غالي وسفر الخديوي الى الاستانة واجتماعه بجلالة السلطان ووزيره. والمظنون انّ انكلترة تتّخذ قريباً الاحتياطات اللازمة لتوطيد سلطتها. وكان الوطنيّون قد عزموا على عقد مؤتمرهم في باريس فلم ترضَ الحكومة الفرنسويّة بذلك واضطرّوا الى اقامته في بلجكة — امّا السودان فاحوالها في ترقٍّ وتقدّم — نالت افريقية الجنوبية الانكليزيّة الاستقلال وأعلن بالامر وجرت الانتخابات لمجلسها قانونياً

﴿ اميركة ﴾ الولايات المتّحدة. هي بلاد الحرّية التامّة التي قلّما تتمتّع بمثلها بقيّة الجمهوريّات. وكان الحزب الجمهوريّ هناك متولّياً للامر منذ سنة ١٨٩٦ وانّما ظفر به الحزب الديموقراطيّ في الانتخابات الاخيرة في ٨ ت ٢ البالغ عدد مبعوثيه الآن ٢٢٠ ونالوا مع ذلك ١٥ منصباً لحكم الولايات. امّا الجمهوريّون فهم ١٧٠ وكان اكبر المغلوبين في هذا العراك روزفلت الرئيس الاسبق

كاندا في العام الماضي جاهرت بارادتها الثابتة انّها تبقى على استقلالها وتُدافع عن ايمانها الكاثوليكي ولغتها الفرنسويّة. وكلّ يعرف ما نال فيها الماسونيّة من الخزي والفضيحة بعد المؤتمر القرباني

جرت في ١٧ ت ١ في جزائر هافانة اعاصير وانواء يظنّ العلماء ان بينها وانفجار الفيزوف وزلازل صقلّية علاقةً

تناوبت في بلاد المكسيك الثورات وحتّى الآن لم تتّضح اسبابها والشائع انّها صدى ثورة البرتغال وانّ القائم بها ماديرو خصم رئيسها الحالي بورفيريو دياز الذي خدم وطنهُ خدماً جليلة

وكذلك عمدت في العزاييل الجنود البحريَّة الى الثورة فقتلوا احد الامراء. وانزلوا الى البرّ ضُبَّاطهم وتهدَّدوا بتدمير ريودي جانيرو ولم يخلدوا الى الهدوّ حتَّى نالوا من المجلس المطالب المجحفة بالسلطة

أُقيمت الافراح العموميَّة في جمهوريَّة الارجنتين لمرور مئة سنة على استقلالها. وهذه البلاد راقية اليوم في سلَّم الفلاح. وفيها عدد وافر من السوريين يقال انَّ المهاجرين اليها منهم في السنة لا يقلُّون عن ٦٠٠ وهم بالنسبة الى عدد غيرهم من الشعوب في الرتبة الثالثة. وقد ارسلت لهم الحكومة العثمانيَّة قنصلاً جناب وطنيّنا وتلميذ كليّتنا الامير امين ارسلان

هذه زبدة الاخبار السياسيَّة في العام المنصرم

النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الثاني

النصرانية بين عرب الشام

اذا نظرت في خارطة الى بحر الشام وحدَّدت مدينتيه الساحليَّتين طرابلس شمالاً وعكا جنوباً ثمَّ سرت منهما على خطَّين متوازيين الى الشرق بلغ بك السير بعد مرحلتين من طرابلس وثلاث الى اربع مراحل من عكَّا الى مفاوز متَّسعة تمتدُّ على مدى البصر الى جهة تدمر فاقرات شمالاً والى مشارف الشام فالتيه وتلال الصفا حتى جبال الحوران وبلاد المتَّسعة جنوباً فكلُّ تلك النواحي الرحبة الارجاء التي تنيف نحو اربعمائة كيلومتر طولاً في مثلها عرضاً تُعرف اليوم ببادية الشام

ولم تكن هذه البادية في سالف الاجيال قفرة قليلة السكَّان لا تكاد تجد فيها كاليوم غير قرى معدودة او بعض احياء البدو الذين يتنقَّلون فيها مع مواشيهم انتجاعاً للمراعي. وانَّما كانت بعد تلك الزمان عليها في اوائل التاريخ المسيحي أصبحت كروضة غنَّاء. شيَّد فيها اصحابها المدن العامرة لسكنى الاهلين وابتنوا الحصون الحريزة تأميناً للطرق وعزَّزوا الزراعة والفلاحة وانبطوا الآبار وحفروا الصهاريج

لجمع مياه الامطار وخدَّدوا القنيّ لسقي المزروعات. والآثار الباقية من هذه الاعمال الى يومنا تنطق بعمران تلك الاصقاع وحضارتها الراقية

امَّا سكَّانها فكانوا من عناصر شتى بينهم الرومان المستعمرون لاسيما من الجنود الذين انتهوا مدَّة خدمتهم وجالية اليونان من الدول السابقة منذ عهد الاسكندر والسلوقيين ثم الوطنيُّون الشرقيُّون الذين احتلُّوا تلك البلاد لاستثمارها والمتاجرة فيها

وكانت تلك الانحاء اوفق ما يتشتَّاه العرب لسكناهم فكان اهل الحَضَر منهم يسكنون القرى ويتعاطون اشغال الفلاحة. امَّا اهل الوبر فكانوا يرعون مواشيهم في الارياف ويترزَّقون بلحومها والبانها واصوافها. وقد نما فيها عددهم حتى رسخت قدمهم وصار اليهم الامر

وكان الرومان في بدء احتلالهم يعدُّون العرب كخطر على البلاد لما اعتاده اهل البدو من الغزوات وشنّ الغارات والسلب والنهب فحاولوا غير مرَّة كسر شوكتهم غير أنهم عرفوا بالاختبار انَّهم لا يظفرون بهم ظفرًا تامًّا ما لم يستجدوهم ويستعينوا ببعض عشائرهم لقطع دابر الشذَّاذ الباقين منهم. فحالف الرومان شيوخ قبائلهم ودفعوا لبعضهم قسمًا من السلطة على بادية الشام بصفة امراء او ملوك فكانوا يتصرَّفون مع اهل جنسهم تصرُّف السيّد مع المسود وربَّما زاحموا الدولة الرومانية كلما كانوا يشعرون بانتقاض حبلها او ضعف ولاتها. فترى النبطيين منهم في اواسط القرن الاوَّل للمسيح متقلدين الحكم على دمشق نفسها كما ورد عن الحارث ملكهم في رسالة بولس الرسول في رسالته الثانية الى اهل كورنثية (١١: ٣٢) وتبعهُ في الحكم غيره من النبط. وقد افادنا تاقيتس المؤرخ في تاريخ طيطس بأنَّ الرومان كانوا اتَّخذوا في مقدَّمة جندهم كتيبةً من العرب كانوا يتقدَّمون الجيش في محاربة اورشليم على عهد وسبسيانوس وابنهِ طيطس. بل كان الرومان يدفعون لبعض الفرق العربيَّة وظائف معلومة ليقوموا بحراسة التخوم الرومانيَّة من جهة البادية. وقد اخبر اميان مرقلينوس (Ammien Marcellin, XXV, 6) في ترجمة يليانوس الجاحد بأنَّ بعض شيوخ هؤلاء المحالفين قدموا على القيصر وشكوا اليهِ تأجيل الرومان في دفع رواتبهم فغضب يليانوس وزجرهم بقولهِ انَّهُ اعدَّ لهم حديدًا (لقتالهم) لا ذهبًا (لأجرتهم) فخرجوا ناقين على الرومان ولحقوا بجيش العجم

وحاربوا يليانوس مع جيش سابور فكانت عليه الدولة

امّا الديانة التي كانت عليها امم بادية الشام وقبائلها فكانت خلطاً من اديان الوثنيّة فكان اليونان والرومان أتوا بمعبوداتهم المنوطة بالسيّارات كالمشتري وزحل وعطارد والزهرة والمرّيخ فاكرموها اكرام اجدادهم ومواطنيهم لها في اثينة وروميّة. ونشر الفينقيّون عبادة تمّوز وعشتروت والبعل امّا النبط فكانوا يفضّلون ذا الشرى (Dusares) واللات وشمس ويتع. ثمّ اختلطت هذه العناصر المتباينة وتداخلت اديانهم ببعضها واكرم كل قوم معبودات القوم الآخرين

وفي غضون ذلك ظهرت النصرانيّة وقامت لمناهضة تلك الاديان كلّها دون ان ترضى ان تختلط بها او تبادلها بشيء. والمرجّح ان الدين المسيحي دخل بلاد العرب من غربيّ الجزيرة من جهة الشام حيث انتشر بعد صعود السيد المسيح بزمن قليل كما ورد في سفر الاعمال. ولا يقبل العقل ان بولس الرسول رحل الى العربية كما جاء في رسالته الى اهل غلاطية (١:١٧) دون ان يكون سبقهُ اليها احد من المتنصّرين او خلّف فيها اثرًا من دينهِ

والظاهر انّ النصرانيّة دخلت اوّلًا في حاضرة حوران اعني بُصرى كما تشير اليهِ التقاليد القديمة التي تناقلها الكتبة اليونان والسريان ثمّ العرب المسلمون من بعدهم فقد ورد في جدول دوروتاوس السوري لتلامذة السيّد المسيح السبعين انّ تيمون احد الشمامسة السبعة المذكورين في سفر الاعمال (٣:٨) نشر الدعوة النصرانيّة في مدينة بُصرى فعُدّ كرأس اساقفتها. وفي الروايات التي تداولها الكتبة النصارى عن الرُسل واثبتها السمعاني في مكتبتهِ الشرقيّة (ج ٤ ص ١ — ٢٠) انّ البعض منهم تلمذوا العرب وخصّوا بهم عرب بادية الشام وحوران كما يظهر من القرائن. وصرّح بالامر المقريزي في كتاب الخطط والآثار (ج ٢ ص ٤٨٣) عن متى العشّار « انهُ سار الى فلسطين وصور وصيداء وبصرى ». وقال ابن خلدون في تاريخهِ (٢: ١٥٠): « ان برتلماوس بُعث الى ارض العرب والحجاز ». امّا تدمر وباديتها فذكر سليمان اسقف البصرة في كتابهِ السرياني المعنون بالنحلة (Budge: *Book of the Bee*. p. 106) انّ يعقوب بن حلفا بشّر فيها

على انّ هذه الشواهد في الدعوة النصرانيّة الاولى في بادية الشام تعمّ كل عناصر

الاهلين ولا تفرز العرب من سواهم فتبقي شكًّا في تنصُّرهم. ألا انَّ ما يتبع ذلك العهد من الشواهد التاريخيَّة اصرح واجلى. فقد افادنا مؤرخو العرب انَّ القبيلة الاولى التي تولَّت على بادية الشام باسم الرومان انَّما كانت قضاعة من قبائل اليمن ثمَّ غلبتها على الامر سليح ثمَّ جاءت بعدهما قبيلة غسَّان فملكت على تلك الجهات وبقي ملكها الى ظهور الاسلام. والحال انَّ هذه القبائل الثلث قد دانت بالنصرانيَّة على رأي اولئك المؤرخين. قال اليعقوبيّ في تاريخهِ (طبعة ليدن ١: ٢٣٤) عن قضاعة «انَّ قضاعة اوَّل من قدم الشام من العرب فصارت الى ملوك الروم فملَّكوهم فكان اوَّل الملك لتنوخ بن مالك بن فهم... فدخلوا في دين النصرانيَّة فملَّكهم ملك الروم على من ببلاد الشام من العرب». وكذلك بنو سليح فقد صرَّح بنصرانيَّتهم المسعوديّ في مروج الذهب (طبعة باريس ٣: ٢١٦): «وردت سليح الشام فتغلَّبت على تنوخ وتنصَّرت فملَّكها الروم على العرب الذين بالشام»

امَّا نصرانيَّة غسَّان فهي من الامور التاريخيَّة الراهنة التي لا يختلف فيها اثنان وقد جمعنا في مقالتين ضافيتين نشرناهما في المشرق (١٠: ٥١٩ و ٥٥٤) البيّنات اللامعة والشواهد الساطعة التي تثبت تديُّن غسَّان واحيائها وملوكها بالنصرانيَّة ردًّا على مزاعم كاتب بغدادي اغفل اسمهُ فنشر في المقتبس (٢: ٣٨٢) رأيًا خالف فيهِ مجموع المؤرخين من يونان وسريان وعرب. فمن اراد الوقوف على تلك الادلَّة فليراجعها في مقالتنا. ونضيف الى مؤلِّفي العرب الذين ذكرناهم هناك ابن رُسته في كتاب الاعلاق النفيسة (طبعة ليدن ص ٢١٧) والمسعوديّ في كتابهِ التنبيه والاشراف (طبعة ليدن ص ٢٦٥) فكلّ تلك النصوص المتعدِّدة لا تصرّح فقط بان النصرانيَّة كانت في بعض احياء غسَّان بل انَّها عمَّتها جمعاء. وقد فنَّدنا في مقالتينا المذكورتين ما اتى بهِ المخالف من الحجج لانكار هذا الرأي العام. ولا يؤخذ فقط من البراهين التي اوردناها بانَّ النصرانيَّة شملت كل بلاد غسَّان بل يتضح ايضًا انَّ هذا الدين غلب عليها منذ اواخر القرن الرابع للمسيح اعني قبل الاسلام بثلاثة اجيال كما ترى من اسماء اساقفتها في المجامع وتآليف الكتبة المتعدِّدين وتراجم السيَّاح وآثار الكتاباتِ والكنائس الباقية الى يومنا

(له تتمة)

مَطبوعاتٌ شرقيّةٌ جديدة

A. Palmieri O. S. A. Theologia dogmatica orthodoxa Ecclesiæ Græco - Russicæ ad lumen catholicæ doctrinæ examinata et discussa . T. I. Prolegomena, *Florentiæ*, 1911, pp. XXV-815

عقائد الكنيسة اليونانيّة الروسيّة بإزاء التعليم الكاثوليكيّ

انّ التآليف العديدة التي وضعها حضرة الاب العلّامة اغوستينو بالمياري في تاريخ الكنيسة الروسيّة وعاداتها وتعاليمها اعدّتهُ لوضع كتاب اعظم شأناً واوسع بياناً قد باشر بهِ آخرًا واهدانا مقدّماتهِ في جلدٍ ضخم مرصوص الابواب والفصول ضمّنهُ كلّ المعلومات التي تُوقف اللاهوتيّ على تفاصيل الدروس الجارية اليوم في مدارس روسيّة الاكليريكيّة بل قل في جميع مدارس الكنيسة البوزنطيّة التي تقتني عادةً آثار الكنيسة المسكوبيّة. وغاية المؤلف ان يستقري باباً باباً كل معتقدات الروس ويذكر ما لكَتَبتهم فيها من الادلّة والبراهين العقليّة والنقليّة ويعرضها على تعاليم الكنيسة الكاثوليكيّة أملًا منهُ ان يلتقي الفريقان في وحدة الايمان ويبطل ما يعترض بينهما من النفور. فيا حبّذا الغاية وكلّ رجائنا ان تتمّ رغبتهُ فعلًا وتحقّق امنيّة السيّد المسيح بان يكون راعٍ واحد لرعيّة واحدة — وقد جعل حضرة المؤلف هذا الجزء كتمهيد لكتابهِ جمع فيهِ كلّ ما من شأنهِ ان يقرّب فهم المجلّدات التابعة. فافتتح كلامهُ بفصل اوّل عرّف فيهِ تحديد اللاهوت كما يفهمهُ الروس منتقدًا ما وُضع في تعريفهم لهُ من التباين والخلل. ويلي هذا الباب بابان آخران غاية في الحسن والافادة روى المؤلف فيهما معنى المعتقدات وتقسيما وترقّيها جيلًا بعد جيل منذ أُوحي بها السيّد المسيح ورسلهُ الى المؤمنين. وحضرتهُ يتتبّع آراء اللاهوتيين الروسيين ويُعمل النظر فيها رأياً بعد آخر ويُثني على ما يجدهُ فيها ثابتاً مقرّرًا ويقوّم عوَج المعوجّ منها. وبعد باب رابع بحث فيهِ عن اساليب التعليم اللاهوتيّ الصحيحة استقرى في باب خامس التآليف اللاهوتيّة التي اتّخذها علماء الروس لتدريس اللاهوت في كرور الاجيال مباشرةً باوّلها ولاسيّما كتاب الايمان المستقيم للقديس يوحنا الدمشقي الذي بقي كدستورها التعليميّ الى ان قام في القرون الثلاثة الاخيرة عدّة كتبة وسموا نطاقهُ وألّفوا تآليف يصفها

الاب بالباري ويبيّن غثّها من سمينها. ثمّ يتخطّى الى باب سادس خصّهُ بتعليم اللاهوت المدارسيّ (Théologie Scolastique) المبنيّ على البراهين العقليّة فضلاً عن الادلّة الوضعيّة والذي سبق اليهِ القديس يوحنّا الدمشقي واقتصّ فيهِ آثارهُ العلم الملائكي القديس توما الاكوينيّ. وقد فنّد حضرة المؤلف في هذا الباب مزاعم بعض المعترضين الذين شنّعوا على ذلك التعليم جهلاً وزوراً. والبابان التاليان مدارهما على الاسانيد الوضعيّة التي يرجع اليها اللاهوتيون الروسيّون منها قديمة كدساتير الايمان وقوانين المجامع الكنسيّة العموميّة والخصوصيّة وتقارير الآباء والملوك المؤمنين ومنها حديثة تبعت عهد المجمع الفلورنتيني كمناشير ودساتير مختصرة للايمان كتبها بطاركة القسطنطينيّة واجوبة في امور اعتقاديّة شتّى. وقد ختم الكاتب هذه الابواب بثلاثة فصول مبتكرة خصّها باللاهوت الجدَليّ في روسيا وبيّن حقيقتهُ وشروطهُ وما يحتاج اليهِ من المعارف التاريخيّة وغيرها ليأتي الجدل بالثمرة المأمولة ولا يترك في القلوب نفوراً. فترى من هذه الخلاصة ما يحتويهِ هذا التأليف الجليل من الفوائد الجمة التي تجعلهُ من اجود المصنّفات للاهوتيين عموماً وللشرقيين خصوصاً. ومن فوائدهِ انّهُ نقل الى اللاتينيّة عدّة آثار روسيّة لا يستطيع الكثيرون فهمها في اصلها. وممّا احسن بيانهُ في كتابهِ حاجة الكنيسة اليونانيّة الروسيّة الى رأس يجمع شتاتها ويجدّد رسومها وينفي عنها ما وقع في تعاليمها واسرارها من الخلل وتداخل السلطة المدنيّة في نظامها وغير ذلك ممّا استند فيهِ المؤلف الى اصدق البراهين مستشهداً في الغالب بكتبة الروس نفسهم دون ان يفوه بكلمة تجرح احساسات الشرقيين. فنتمنّى لهذا الكتاب انتشاراً كبيراً وأملنا ان نجد تتمّة عمّا قليل الاب ب. كسانتاكيس

F. Clemens Carmigniani ab Orentano: Elementa Theologiæ Fundamentalis, *Florentiæ*, 1911, pp. XXXI-353

مبادئ اللاهوت النظري

هو كتاب مُتقَن الطبع يشتمل على اصول عقائد الايمان للمدارس اللاهوتيّة على طريقة منتظمة كثيرة الوضوح جليّة البراهين واخصّ مضامينه بعد المقدّمات الابحاث عن الدين اجمالاً وافراداً ثمّ عن الوحي واخيراً عن الكنيسة. وفي كلّ قسم يفنّد المؤلف مذاهب المبتدعين وخصوصاً اراء العصريين الواهنة. وخصّ بالنظر الديانات

الشائعة في الشرق وبيَّن ما للنصرانيَّة من الفضل عليها. وادلَّتهُ غالباً مختصرة لكنَّها مقنعة مُثبتة فيبقى على المعلّم توسيعها. فان شاء الله يتحفنا المؤلف قريباً ببقيَّة الاجزاء فيضحي كتابهُ كدستور التعليم اللاهوتي في المدارس الاكليريكيَّة لاحتوائهِ كل قضايا الايمان الكاثوليكيّ وتجرّدهِ عن كل رأي غريب وفقاً لرغائب الحبر الاعظم

الاب ق. زرشيتن

H. Hrozny: Die Abweichungen des Codex Vaticanus vom hebr. Texte in den Koenigsbüchern. *Leipzig, W. Drugulin*, 1900, pp. 75

اسفار الملوك في النسخة الواتيكانيَّة

نسخة الاسفار المقدَّسة السبعينيَّة المحفوظة في مكتبة الواتيكان من اقدم واضبط النسخ المخطوطة التي تُعرف من عهدنا يرقيها العلماء الى القرن الرابع للميلاد ولذلك يجبُ الدارسون للكتب المقدَّسة الرجوع اليها في انتقاد الاصل العبرانيّ الذي تداولتهُ ايدي الربّانيين وتصرَّفت فيهِ بعض التصرُّف لاسيما بضبط حركاتهِ بالشكل. ومما نشرهُ مؤخراً احد المترشحين للمامتنة في كليَّة تونبغ المقابلة بين اسفار الملوك في العبرانيَّة والنسخة الواتيكانيَّة فدوَّن ما وجده بينهما من الاختلاف فصلاً فصلاً واستنتج من المعارضة انَّ روايات الاصل العبرانيّ ليست هي دائماً الصحيحة بل امكنهُ ان يثبت بكل دقَّة وبشواهد نقليَّة عديدة انَّ الترجمة السبعينيَّة المخطوطة نُقلت عن اصل عبرانيّ مفقود كان اصحّ واضبط من النصّ الشائع في عهدنا. وبذلك اظهر فضل هذه النسخة واهميَّتها

الاب ب. جوون

H. Petitot: Pascal, sa Vie religieuse et son Apologie du Christianisme, *Paris*. G. Beauchesne et C^ie^, 1911, pp. 427

بسكال: حياتهُ الدينيَّة ودفاعهُ عن النصرانيَّة

هذا كتاب جديد من جملة التآليف التي يتولَّى نشرها المكتب الكاثوليكي في باريس احسن في وضعهِ حضرة الاب الدومنيكاني بانيتو. ولا غرو انهُ بالغ في التواضع حيث قال في آخرهِ «انَّ معظمهُ يتألف من اقوال اسلافهِ فحصَّتهُ فيهِ قليلة» لاسيما انَّ الذين كتبوا قبلاً في دفاع بسكال عن النصرانيَّة لم يكونوا لاهوتيين وعلم اللاهوت لا غنى عنهُ في مثل هذه الابحاث — فما يلوح عموماً من عُرض الكلام انَّ المؤلف مُغرَم بعمل بسكال وجلُّ اهتمامهِ مع ذلك ان يكون منصفاً بحكمهِ عنهُ.

فقد اعجبنا وصفهُ لما اخذهُ پسكال في دفاعهِ من النصرانيَّة عن الذين سبقوه الى ذلك وما تفرَّد فيـهِ عن سواه بالادلَّة التي استدلَّ بها پسكال دون غيره لاثبات صحَّة الدين النصراني كالدليـل المدعو «بمشارطة الملحد» والدليل المبنيّ على شواعر النفس وعلى فساد الطبيعة وضعف العقل . فمن يتصفح هذه الفصول يفهم ما اصاب فيـهِ پسكال وما لم يُصب. وممَّا يُستحسن ايضاً في هذا الكتاب ما اثبتهُ صاحبهُ عن اعتبار پسكال لادلَّة اسلافهِ العقليَّة والنقليَّة عن صحَّة النصرانيَّة خلافاً لمن زعم بعدولهِ عنها. فنثني على كل هـذه الاقسام لكنَّنا نرى المؤلف بالغ نوعاً في تبرئة البدعة الجَنْسِنيَّة (Jansénisme) حيث قال انَّ اصحابهـا اوقفوا معاصريهم في طريق التهامل الديني. والصواب انَّ بدعة جنسنيوس لم تُفد الدين شيئاً بل كثَّرت إهمال الدين واوسعت نطاقهُ بمبادئها الصارمة . وكذلك بالغ المؤلف في قولهِ عن التراخي الديني في اواسط القرن السابع عشر وعليهِ لا نوافقهُ في معارضتهِ بين مزاعم الجَنْسِنيّين وتعاليم القديس فرنسيس دي سال في التراخي — وكنَّا وددنا لو ميَّز المؤلف بدقَّة في كلامهِ بين ادلَّة الدين التي تولي الانسان اليقين التام والادلَّة التي تفيده يقيناً ادبياً فقط لا يتجاوز الترجيح وكذلك بين التعزية الروحيَّة التي ينالها الاتقياء في مناجاتهم لله او الخطأة عند توبتهم وبين الطرائق التي يخصُّ الله بها بعض اوليائهِ كالرؤى والكرامات. وخلاصة القول انَّ هذا الكتاب جليل الفائدة وكدليل لمراجعة تآليف پسكال والوقوف على كنه تعاليمهِ الاب غ. نيران

Homiliæ selectæ MAR-JACOBI SARUGENSIS, edidit **Paulus Bedjan** Cong. Miss. Lazarista. *Lipsiæ, Otto Harrassowitz*, 1910, T. V. pp. XIX-905

ܡܐܡܪ̈ܐ ܡܓܒܝ̈ܐ ܕܡܪܝ ܝܥܩܘܒ ܕܣܪܘܓ

لم يقم في الكنيسة السريانيَّة بعد القديس افرام كاتب يستحقُّ اعتبار المستشرقين عموماً ونصارى الشرق خصوصاً كمار يعقوب السروجيّ وقد ابقى من الآثار ما يكاد يجاري في قدمهِ ووفرتهِ وتفنُّنهِ وبلاغتهِ ملفانَ الكنائس السريانيَّة جمعاء. فدُعي لسببها كنَّارة الروح القدس. على انَّ اعماله بقيت غالباً متروية في زوايا النسيان حتَّى استخرجها من دفائنها حضرة وطنيّنا الهمام الاب بولس بيجان اللعازري الكلدانيّ فطبع منها سابقاً اربعة مجلَّدات ضخمة بالحرف الكلداني الجميل مرَّ وصفها في الشرق

(٩ : ٨٧١). وقد انتهى الينا منها اليوم الجزء الخامس وفيه خمسون ميمرًا للسروجي في مواضيع كتابيّة شتّى من العهدين القديم والحديث وكلها بالشعر السرياني يبلغ معدَّل كل ميمر منها نحو ٤٠٠ بيت. فيأخذ العقلَ الاندهاشُ لجودة قريحة المؤلف وغزارة مادّتهِ. فبلسان كل الكتائس الشرقيّة نشكر حضرة الاب بيجان الذي احيا هذه الرسوم البالية ونتمنّى ان يمدّ الله في حياتهِ ليواصل مطبوعاتهِ النفيسة التي كاد يبلغ مجموعها الثلاثين عددًا فشرّف بها مواطنيهِ الشرقيين ل. ش

Die arabischen Schriften des THEODOR ABU QURRA, Bischofs von Ḥarrân (ca. 740-820) von Dr Georg Graf. *Paderborn, F. Schoeningh*, 1910, VI-336

آثار كير ثاودورس اسقف حرّان المعروف بابي قرّة

يذكر قرّاؤنا الميمر النفيس في صحّة الدين المسيحي الذي نشرهُ في المشرق (٦ : ٦٣٣) حضرة الخوري قسطنطين الباشا وقدّمنا عليهِ نبذةً في تعريف مؤلفهِ الفضال ثاودورس ابي قرّة معاصر القديس يوحنّا الدمشقي. وما لبث حضرة ناشر هذا الميمر ان اتبعهُ بمجموع اوسع يتضمَّن ما وجدهُ من ميامر الكاتب الموماً اليهِ في مكتبة دير المخلّص فعُني بطبعهِ في مطبعة الفوائد في بيروت وهي عشرة ميامر كلّها ددر يبلغ محتواها ٢٠٠ صفحة. فكان لهذه الطبعة دويّ استحسان لدى المستشرقين فتحفّز لترجمتها الى الالمانيّة حضرة الخوري جورج گراف احد المولعين بالآثار النصرانية القديمة فنقلها بعد ان قدّم عليها المقدّمات الواسعة في تعريف كاتبها وزمانهِ وتآليفهِ وآرائهِ اللاهوتيّة والمجادلة التي تُنسب اليهِ في العربيّة بحضرة المأمون الخليفة العبّاسي. ثم ألحقهُ بترجمة ميمر آخر كان سبق الى طبعهِ احد العلماء الالمان المدعوّ ارندتسن (J. Arendzen) في اكرام الصور. وهو أثر بديع فيهِ تفنيد شيعة محاربي الصور (اطلب المشرق ٦ : ١٠١٢) نقلاً عن نسخة خطيّة وصفها حضرة الاب لويس معلوف ونقل عنها ميمرًا آخر في تأنُّس الله الكلمة ورجّح كونهُ لابي قرّة لكنّ الاب گراف لم يوافقهُ في رأيهِ فلم ينقل هذا الميمر الى الالمانيّة. ثم انَّ لابي قرّة ميامر مخطوطة في مكتبتنا سبق لنا. وصفها كميمر العثار والفريسي وميمر التوبة وغير ذلك ممّا يستحقّ الطبع والنقل فعسى حضرتهُ ان يطّلع عليهِ قريباً ويضيفهُ الى طبعتهِ

مع ما اكتشفهُ في مكتبة السريان اليعاقبة في القدس الشريف . فنشكر الشكر الجزيل لحضرة المترجم ونتمنَّى لكتابهِ اعظم رواج ل. ش

مراثي وديوان المرحوم الياس صالح اللاذقيّ

عُني بطبعهِ نجلهُ رفيق افندي صالح

في المطبعة الوطنيَّة باللاذقيَّة سنة ١٩١٠ (ص ١٦٨)

اشرنا في الجزء الثاني من كتابنا الآداب العربيَّة (ص ١١٨) الى مؤلف هذا الديوان بيد انَّ معلوماتنا فيهِ كانت غير وافية فسُررنا اليوم لسدّ الخلل بهمَّة نجلهِ الاديب الذي نشر قصائده مصدَّرةً بترجمة حياتهِ لاسعد افندي داغر يُستفاد منها انهُ ولد من أُسرة وجيهة في اللاذقية في ٢٦ ك ٢ سنة ١٨٣٦ وخدم الدولة الاميركيَّة بصفة ترجمان لقنصليَّتها ثم آثر عليها خدمة الحكومة العلية كمأمور اعشار قضاَءي جبلة واللاذقية ثم كعضو محكمتها الابتدائيَّة الى ان أُصيب بداء عياء قاسى مضضهُ سنين طويلة بصبر حتى وافاهُ الاجل المتاح في ١٥ ايلول سنة ١٨٨٥ . وللمرحوم ما خلا ديوانهُ المشتمل على قصائد حسنة في كل ابواب الشعر خطبة في حقيقة التهذيب طُبعت في بيروت سنة ١٨٦٦ وكتاب بهجة الضمير في نظم المزامير طُبع في الاسكندريَّة سنة ١٨٧٥ وتكرَّر طبعهُ. ولهُ فضلًا عن ذلك عدَّة آثار لم تطبع اخصُّها تاريخ وطنهِ اللاذقية في ثلاثة مجلدات نتمنَّى نشرهُ قريبًا. وكان الفقيد يعرف عدَّة لغات فعرَّب كتبًا كثيرة كقوانين ونظامات دولتهِ وكتاريخ مذابح سوريَّة لفرنسوا لونرمان الكاتب الشهير وسياحة المسيو بوجولا وغير ذلك. وكان الياس صالح تقيًّا ديّنًا كما تشهد لهُ عدَّة مدائح في السيّدة العذراء واناشيد تجدها في ديوانهِ (ص ١٣٤–١٤٤). ونظم المرحوم متين كثير التفنُّن وقد رثاهُ كثير من الشعراء ومن احسن ما قيل في تاريخ وفاتهِ قول الياس افندي نوفل من مرثاة :

دعاهُ الهُ العرش للمجد والهنا وقال عبادي مَنْ وقَى البرَّ ناجحُ
فيا من فقدتم فالرجا حسبكم ويا ملائكتي زفُّوا اخاكم وصافحوا
فدارُ البقا للوفد أرّخ رحيبة أعدُّوا لهُ الاخدار فالياسُ صالحُ

دروس التاريخ الاسلامي

تأليف محي الدين الخياط · القسم الثالث

طُبع في بيروت بنفقة والتزام المكتبة الاهليَّة في المطبعة العصريَّة (١٣٣٨ ص ٣٦)

مرَّ لنا وصف هذه الدروس دفعتين فاثنينا على ميزاتها واشرنا الى بعض نواقصها وهذا الجزء الثالث يتناول التاريخ الاسلامي مـدَّة الخلافة الامويَّة · من السنة الهجريَّة ٤٠ الى ١٣١ قسمهُ المؤلف الى اثني عشر درساً في كل درس فصول وجيزة لاهمّ الحوادث تنتهي بتمرين وخلاصة · واذ قد طلب المؤلف في آخر المقدَّمة ان ننبههُ الى اصلاحات الكتاب نجيب الى طلبهِ فنقول انَّ الخارطة التي في اوَّل الجزء قليلة الاتقان ينقصها عدَّة أعلام ذُكرت في الدروس ولا يجد الطالب موقعها · ثمَّ انَّ الدروس والحوادث تتوالى دون رابط بينها وحقّ كل درس ان يكون كجسم فيهِ الاجهزة الحيويَّة والاعضاء والمفاصل الثانويَّة والكل ملتحم التحاماً وثيقاً · وكذلك لا تجد في هذه الدروس نظرًا عاماً يشمل حالة الاسلام في دينـهِ وآدابهِ وعلومهِ كما انَّها لا تعرّف سِيَر الخلفـاء في صفاتهم واخلاقهم · — ثمَّ لم نتحقَّق من هو «البطريرك اليون او لاون» (ص ٦٦) لعلَّهُ يريد الملك لاون الثالث المعروف بمحطِّم الصور (ايقونوقلاست)

ل · ش

رفيق الجندي المسيحي

حضرة الاب يواكيم دعبول الناصري الفرنسيسي

طُبع في اورشليم سنة ١٩١٠ (ص ١٣٦)

طالعنا هذا الكتيّب فالفيناه كثير الفوائد قريب المأخذ سهل الحمـل لائق بالجندي المسيحي اذ يجد فيه تعليم الدين النصراني في شرف الوطن والجنديَّة وواجبات الجنـدي الصادق نحو الله والسلطان والجنود اخوتهِ في الوطنيَّة مع فروض الخدمة والتضحية والامانة · وقد ألحق المؤلف كتابهُ بتعليات تهذيبيَّة وملحوظات عمليَّة وصلوات ومعارف دينيَّة جليلة الفائدة فنثني على غيرة حضرتهِ ونسأل الله ان يحقق آمالهُ · ويا حبذا لو اهدى الرعاةُ والكهنة هذا الكتاب الزهيد القيمة والعظيم النفع الى كل جندي مسيحي يوم سفرهِ تذكارًا ومؤونة ادبيَّة ودينيَّة

شذرات

اثر صينيّ قديم في اميركة — في مؤتمر الآثار الاميركيّة الذي عُقد في بوينس ايرس في أيار من السنة المنصرمة كانت الصين ارسلت كمثّل لها احد علمائها المسمّى « تلم بوي ستيوم » فجاز في مدينة « تيوتيهواكان » وبينا هو يزور متحف عاديّاتها السابقة لعهد التاريخ اذ وقف هناك على بعض الآنية الزجاجيّة التي وجدت قديماً في قبيلة وطنيّة تُدعى « توتيكاس » ففحص تلك الآنية واذا عليها كتابات صينيّة افاد المؤتمر عن معانيها فكان لهذا الاكتشاف وقع في قلوب الحضور وجاء كشاهد حيّي على رأي القائلين بانّ اوّل سكّان اميركا اتوها من قارة آسية

الرابطة — وما ادراك ما الرابطة (Le Lien) ؟ هي العدد الاوّل من « المجلّة العلمانيّة الشهريّة » التي اصدرتها في ثلاث لغات جمعيّة متخرّجي المدرسة العلمانيّة في بيروت « لتكون رابطة متخرّجي العلمانيّة بعضهم ببعض بعد خروجهم الى مدرسة العالم الكبرى ». فيظهر ان عدد الذين خرجوا منها بعد سنتها الاولى قد كثروا حتّى عدّتهم من متخرجيها الاقدمين (Anciens Elèves). وما كنّا لنتعرّض لهذه النشرة لولا انّها استندت الى كلامنا في المشرق فروت منهُ ما ظنّهُ البعض كتّاباً على مبادئها منقولاً الى الفرنسويّة. وقد اخذنا العجب من سكوتها على مقالتينا الضافيتين حيث بيّنّا انّ المدارس العلمانيّة التي تدّعي كونها لا تتعرّض للاديان هي آفة الاديان كلّها وضربة لازبة على كلّ مذهب وأدب وما هي غير آلة في يد الماسونيّة تنفي في قلوب الناشئة اعتقاد وجود الخالق وخلود النفس والحقائق التي تتّفق اديان الشرق في قبولها وقد طبعنا هاتين القالتين على حدة واضفنا اليها شواهد مختلفة لمشاهير الرجال من نصارى ومسلمين. وكفى شاهداً على قولنا هذه الاسطر التي ننقلها بالحرف الواحد من دستور تعليمها الادبيّ (La Morale à l'école) الذي وضعتهُ المدرسة العلمانيّة في ايدي طلبتها وفيهِ شاهد واضح على انّها لا تنوي كما زعمت استناداً الى اقوالٍ لم تفقه معانيها من الانجيل والقرآن والحديث جمع القلوب بالاخاء بل الالحاد والتعطيل ومناهضة الانجيل والقرآن والحديث. قال پايو (Payot) مؤلف هذا التعليم (ص ٢٣٠ — ٢٣١):

Aucune croyance sur Dieu, sur l'origine du monde, sur l'origine et la destinée de l'homme n'est acceptée par tous ceux qui pensent ; nous ne pouvons faire sur ces questions que des suppositions !!!

وهذا القول يوافق تصريح منشئ المدارس العلمانيّة المسيو اولار (Aulard) الذي جاهر بخطبة علنيّة « انّ غاية هذه المدارس معاكسة الدين » وقد كتبت عنهُ آخرًا جريدة التان (Le Temps) البروتستانيّة فصلًا كشفت فيهِ مكرهُ وتعصّبهُ الاعمى. ومن ثمَّ لا ندري كيف استطاعت بعض الجرائد الاسلاميَّة ان تثني على هذه المدارس وزادنا عجباً انَّ مجلّة العرفان (٢ : ٤٣١) نسبت الى المشرق « اقتراء على القوم » (كذا). ولو راجعت كتاب بايو (Cours de Morale) وقولهُ في الاسلام (ص ١٩٩) لشكرتنا الشكر الجزيل لقيامنا في وجه هذه المدارس الكفريّة عدوَّة الاسلام كعدوَّة النصرانيَّة

نحن والكوثر — كلّ يعرف وَلَعنا بالعلوم العربيَّة وآثارها وما نشرنا منها مكرّرين الثناء على كتبة العرب فتعجّبنا ان صاحب مجلة الكوثر نسب الينا زورًا تقريع العرب بالهمجيَّة والتوحّش فنقل كلامنا على غير معناهُ وحاول تفنيدهُ من اقوال الكتاب المقدس فخلط شعبان برمضان. فنسأل الكاتب اين وصفنا العرب بالهمجيَّة واين رميناهم بالتوحش ؟ فلو اراد الردّ علينا لاقتضاهُ الامر ان يروي كلامنا بحرفهِ. كان الاديب عبد الوهّاب سليم افندي التنّير طلب منّا ان ننقل لهُ كلام الوزير جمال الدين ابن القفطي عن حريق مكتبة الاسكندريَّة فنقلناهُ (في المشرق ١٣ : ٩٥٧–٩٥٨) مع نصوص لكتبة مسلمين غيرهِ . فان استنتج صاحب الكوثر من هذه الاقوال توحّش العرب فالامر لهُ وكان الاحرى بهِ ان يلوم مؤرخي الاسلام اذ لا ملامة على الناقل. وان امكن حضرة الفاضل عبد الوهّاب ان يأتينا بشواهد اقدم من هذه شكرنا لهُ فضلهُ — ثم رددنا على ما كتبهُ في المقتبس جناب احمد بك زكي اذ بالغ كلَّ المبالغة في تأثير العرب في علوم الغرب وبيّنا تطرّفهُ في قولهِ عن القديس لويس ملك فرنسة والكردينال كسيمنيس فنقلت مجلّة الكوثر بعض اسطر من كلامنا منفردةً عن قرائنها ولو اثبتت قولنا بالحرف لرأى القرّاء من هم المتعصّبون امّا اقوال التوراة في مدح العرب فلا علاقة لها بكلامنا وقد سبقنا الى نشر هذه

الآيات منــذ زمن طويل (المشرق ١: ٦٩٩) اذ نحن ادرى من مجلة الكوثر بمفاخر العرب ولكنّ الحقّ يعلو كلّ شيء

فريدريك الثاني والهلال افتتحت مجلّة الهلال عددها الخامس من السنة الحاليّة بترجمة فريدريك الثاني وعظّمت الرجل حتّى جعلته « اعظم رجال التاريخ في القرون الوسطى » ويُستشفّ من كلامها أنّها لم ترفع قدر ذلك الملك الّا لمقاومته الاحبار الرومانيين. وقدّمت على ترجمته تمهيدًا فيه من الاغلاط التاريخيّة ما يسوّد صفحات المجلّة ويطول بنا تفنيدهُ فمن ذلك قولها بلا سند (ص ٢٦٠) بان الكوين (Alcuin) « تلقى العلوم عن العرب او ممّن اخذ عن العرب من اليهود » ومثلهُ ضعفًا قولها انّ شرلمان والجمع الـذي رأسهُ الكوين « ادخلوا في مدارس الاديرة وغيرها علومًا ترقّي العقـل كالموسيقي والهندسة والحساب والمنطق والنجوم ونحوها كما كانت تلقى في بلاد المسلمين » ونسيت المجلّة ان تثبت زعمها بالبرهان. ولا صحّة ايضًا لقولها (ص ٢٦٢) ان شرلمان « جعل للبابا السلطة الرسميّة في السياسة سنة ٧٥٥ في زمن البابا اسطفانس الثالث » ومعلوم انّ شرلمان لم يملك الّا سنة ٧٦٨ وان مدن ايطالية كانت قلّدت الاحبار الرومانيين السلطة عليها منذ القرن السادس ردًّا لغارات البرابرة. وكذلك باطل قول المجلّة بان شرلمان « كان يولّي الاساقفة ورؤساء الاساقفة من تلقاء نفسهِ كأنهُ رأس الكنيسة ». ثمّ معظم ما روتهُ هناك عن البابا غريغوريوس السابع وهنريكوس الرابع اشبه بقصّة مختلقة منهُ بتاريخ صادق فليراجع صاحب المقالة تاريخ هـذا البابا الذي كتبهُ مؤرّخ بروتستاني شهير وَغت (Voigt) فبرّأ البابا من تلك التهم الكاذبة. ومجمل القول انّ كاتب الهلال شحن مقالتهُ مزاعم باطلة كنّا وددنا حرصًا على شرفهِ لو راجع قبل تسطيرها الاصول الثابتة والكتبة الموثوق بهم

الجريدة الماسونيّة قرأنا فيها فصلًا جديدًا « لحضرة الاخ (اي الماسوني) الدكتور الفاضل حبيب افندي مالك » اراد فيـهِ الردّ على مقالتنا في الماسونيّة وزعم أنّنا شتمنا رجالًا ادباء بنفينا الادب عن الماسونيّة. لكنّ سهم الكاتب قد طاش بهذا الردّ اذ أنّنا لم نخصّ بكتابتنا احدًا من الماسون وانّما بيّنّا فقط بشواهد اضوأ من النور انّ الماسونيّة بمبادئها تنقض اساس العمران الديني والنظام العالمي

اسئلة واجوبة

س سألنا الاديب ي. ص. من هو يوحنا مار ماكون الذي يذكره المؤرخون وهل هو ذات ظفر صغير ؟

يوحنا مرمغون

ج يوحنا مرمغون (لا مار ماكون كما جاء في تاريخ سورية ٧ : ٣٣٦ — ٣٤٨) ارسلهُ الموارنة الى ملك فرنسة سنة ١٦٩٥ يطلبون منهُ ان يجعل الشيخ حصن الخازن قنصلاً على بيروت. وفي الآثار الخطية التي في ايدينا يدعوه البطريرك الدويهي « وكيلهُ » ويسميهِ الشيخ حصن « تابعهُ » ويوصيان بهِ « لانهُ ابن اجاويد ». اما حقيقة نسبتهِ الى ظفر صغير فلم نجد ما يثبتها او ينفيها وقد استغربنا كيف ان الدويهي قد ضرب صفحاً عن هذا الكافلير في تاريخهِ وهو معاصر لهُ ورسولهُ الى ملك فرنسة ولدينا الرسائل الخطية التي تشير الى ذلك ننشرها عند سنوح الفرصة ا. ر

س كتب لنا بعض المستفيدين: اذا كان عدد الحروف الشمسية ١٤ وعدد الحروف القمرية كذلك ١٤ كان مجموع الحروف الهجائية العربية ٢٨ حرفاً. فان الالف المدة الحرف الهاوي ليست حرف هجاء لانها لا تقبل الحركات ولا يُبتدأ بها ولا تأتي حرف لين بل هي ابداً مد حركة الفتح ولا تكون اصلية في الالفاظ العربية الّا في بعض الحروف كالف ما ولا والى ومعلوم ان الحرف غير مشتق فلا يُعرف اصلهُ. وعليهِ فالذي حدا ببعض المتكلمين عن علم العربية الى القول بان حروف الهجاء ٢٩ حرفاً. نرجو الافادة ولكم الفضل ا. ص

عدد حروف الهجاء

ج من زعم انَّ حروف الهجاء العربيَّة ٢٩ حرفاً لا يدقّق في الكلام لأن الالف كما اثبت المستفيد ليست بحرف اذ لا تقبل الحركات ولا يُبتدأ بها. والفاً الحرف الذي يجب الشروع بهِ هو الهمزة التي تُعدّ بين الحروف الحلقيَّة. ثمَّ ان الهمزة عينها ليست حرفاً تاماً بل كاحدى الضوابط وهي تحتاج غالباً الى كرسي من حروف العلة. الّا ان العرب حملوها على شبه الالف في اللغات السامية كالعبرانيَّة (א) والسريانيَّة (ܐ) والحبشيَّة (አ) وهي فيها حرف حلقيّ قابل لكلّ الحركات وإنْ خُصَّت بالفتحة لدلالتها. فاذا سميتَ باسم الالف في حروف الهجاء. وجب ان تفكّر بالهمزة (ء) او (أ) ومن ثمَّ لا يكفي ذكر الالف وحدها كما يفعل بعض اللغويين لكن يجب ان يلحقوها بذكر الهمزة التي هي حرف صحيح ودعاها لسان العرب لذلك « جزءاً من مَدّة بعد فتحة » فبها كلّها تبلغ حروف الهجاء ٢٩ حرفاً ل